

اجاثا كريستي

www.zakawyna.com

مرمورية

الحب الذي قتل



أجاثا كريستي

{1890 - 1976}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى 103 لغات.

- بيع من كتبها أكثر من 900 مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.
- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نضّبها ملكة عليهم جميعاً. تميّزت أيضاً بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنهم تعرضوا في الرواية لظروف أزال القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمّنت أيضاً أهدافاً إنسانية فحوها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

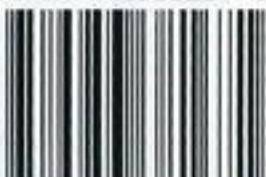
الحب الذي قتل

Nemesis

تقرأ «جين ماربل» في إنكار تام الخطاب الموجه لها من قبل السيد «رافيل» الذي رحل عن الحياة، وهو أحد الأشخاص الذين التقت بهم لفتريات وجيزة خلال أسفارها المتكررة، وأدركت في نفسها نزعة تجاه تحقيق العدالة؛ فقد ترك لها السيد «رافيل» تعليمات للتحقيق في الجريمة بعد وفاته، ولكن المشكلة التي تواجه «جين» هي أنه لم يخبرها بالمتورطين في هذه الجريمة وأين ومتى وقعت.

ثمن الكتاب

ISBN 995338167-4



9 789953 381671

قطر 10 ريات
عمان 1.5 ريال
مصر 10 جنيهات
المغرب 30 درهما
ليبيا 5 دنانير
تونس 4 دنانير
اليمن 400 ريال

لبنان 5000 ل.ل.
سوريا 100 ل.س.
الأردن 1.5 دينار
السعودية 10 ريات
الكويت 1 دينار
الإمارات 10 دراهم
البحرين 1.5 دينار

تأليف
Agatha Christie

الاسم الأصلي للرواية
Nemesis
(1971)

الغلاف بريشة الفنان
عبد العال

جميع حقوق الترجمة محفوظة لشركة دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
وذلك بموجب الإقرار والتنازل الموثق لدى وزارة العدل - مصلحة الشهر العقاري والتوثيق
مكتب شمال القاهرة - توثيق مصر الجديدة - جمهورية مصر العربية - تحت رقم 2390 تاريخ 1985/06/16
ولا يحق لأي كان نشر أي قسم أو جزء من هذا الكتاب وبإية وسيلة كانت ...
إلا بعد أخذ موافقة خطية من الناشر

الفصل الأول

البداية

اعتادت الآنسة "جين ماربل" أن تقرأ جريدتها الثانية بعد الظهر.
كان موزع الصحف يحمل إليها جريدتين كل صباح، فإذا جاء في الوقت المناسب
قرأت الجريدة الأولى وهي ترتشف قدها المبكر من الشاي. ولكن الموزع كان
معروفًا باضطراب مواعيده، وكثيراً ما كان يحل محله موزع جديد، أو بديل مؤقت
له. ولكل موزع خط سيره الخاص، الذي يعتقد أنه يجنبه ملالة (الروتين). ولكن
العملاء الذين تعودوا قراءة الصحف في وقت مبكر للإلمام بالأنباء المهمة والمثيرة قبل
أن يستقلوا الأتوبيس أو القطار أو غيرهما من وسائل المواصلات إلى مقار
أعمالهم.. يضابقهم أن تصل الصحف متأخرة، أما العجائز من نساء قرية "سانت
ماري ميد"، فكن يؤثرن قراءة الصحف على مهل وهن يتناولن طعام الفطور.
وفي اليوم الذي نحن بصددده، تناولت الآنسة "ماربل" طعام الغداء، وبعد أن
غفت قليلاً في المقعد الذي ابتاعته خصيصاً؛ ليريح ظهرها من آلام الروماتيزم
أخذت تنصفح جريدة "التايمز" ..

كان من بواعث ضيقها أن الجريدة لم تعد كالعهد بها، ففيما مضى كان القارئ
يعرف أين يجد المقال أو الموضوع الذي يهمه. أما الآن فقد تخلت الجريدة عن هذا
التقليد وخصصت صفحتين أو أكثر للرحلات، واهتمت بإبراز أنباء الرياضة.. أما
أنباء المواليذ والزواج والوفيات التي كانت فيما مضى أول ما يلفت نظر الآنسة
"ماربل" لوجودها في مكان واضح، فقد تنقلت في صفحات مختلفة ثم استقرت
في النهاية في الصفحة الأخيرة.

بدأت الآنسة "ماربل" بقراءة الأنباء الرئيسية بالصفحة الأولى.. ولم يستغرق ذلك
وقتاً طويلاً، فقد كانت هي نفس الأنباء التي قرأتها في الصباح مع فارق واحد هو
أنها صيغت في أسلوب أكثر رصانة.

وبعد أن ألقت نظرة سريعة على محتويات العدد، انتقلت مباشرة إلى الصفحة

الآخيرة، حيث أنباء المواليد والزواج والوفيات .

وفكرت، كما طالما فكرت من قبل كلما مرت ببصرها على هذه الصفحة:

- من المحزن حقاً ألا يكون هناك الآن ما يثير اهتمامي سوى أنباء الوفيات ..

وشرعت في قراءة أسماء المتوفين بمزيد من العناية، وكانت مرتبة ترتيباً أبجدياً:

"أردن" .. "أنجوباسترو" .. "بارتون" .. "بورجفيسر" . (يا له من اسم

المالني) .. "كارينتر" .. "كانتريل" .. "كانتريل" .. "إليزابيث كانتريل" .. (في

الخامسة والثمانين من عمرها .. يا إلهي! .. كنت أظن أنها توفيت منذ وقت

طويل .. من كان يظن أنها عاشت حتى أمس .. رغم هزلها وضعف بنيتها) ..

"رادلي" .. "رافيل" .. "رافيل" .. ؟ "جيسون رافيل" .. ؟ إنني أعرف هذا الاسم .

ونحّت الجريدة جانباً، وحاولت أن تذكر أين سمعت اسم "رافيل" ..

قالت لنفسها:

- إنه اسم مألوف .. وسأذكر صاحبه حتماً .

وأرسلت ببصرها عبر النافذة إلى الحديقة .. هذه الحديقة التي منحنتها كثيراً من

المتعة .. وكلفتها كثيراً من الجهد والعمل الشاق سنوات طويلة . إلى أن حذرنا

الأطباء أن تعمل فيها ..

لقد حاولت مرة أن تقاوم هذا الحظر، ولكنها وجدت في النهاية أن من الأفضل

لها أن ترضخ لنصيحة الأطباء ..

تنهدت وتناولت حقيبة التطريز، وأخرجت منها معطفاً من الصوف لطفل صغير،

ينقصه الكمان ..

إن حياكة كمين متشابهين عمل ممل .. ولكن لا بأس .. إن منظر الصوف الوردى

يبعث على البهجة .. صبراً .. بماذا يذكرها هذا اللون الوردى .. ؟ .. نعم .. نعم ..

إنه يذكرها بذلك الاسم الذي قرأته في الجريدة .

صوف وردي .. وبحر أزرق .. وشاطئ رملي .. وشمس مشرقة ..

وهي تحيك بإبرتها .. والسيد "رافيل" ..

- طبعاً .. طبعاً .. لقد تذكرت الآن ..

كان ذلك في جزيرة "سان أونوريه" بالبحر "الكاربيبي" .. خلال الرحلة الممتعة

التي هياها لها "ريموند" ابن أخيها ..

إنها تذكر جيداً عبارة "جوان"، زوجة "ريموند"، حين قالت لها قبيل الرحلة:

- لا تحاولي الاهتمام بجرائم القتل خلال رحلتك با عمته؛ إن ذلك يؤدي

صحتك .

ولم يكن في نيتها أن تهتم بأية جرائم .. ولكن ذلك حدث رغم إرادتها ..

ووقتئذ عرفت السيد "رافيل" وسكرتيرته السيدة "الترز" .. "إستر والترز" ..

وتابعه المدعو "جاكسون" ..

إذن فقد مات السيد "رافيل" المسكين .. لقد كان يعلم أنه سيموت قريباً .. إنه

قال لها ذلك .. ويبدو أنه قد عاش أطول مما توقع الأطباء ..

كان رجلاً قوي الإرادة، عنيداً .. وعلى جانب كبير من الشراء .

وراحت الأنسة "ماربل" تعمل بإبرتها وتفكر في السيد "رافيل" وتحاول أن تذكر

عنه كل ما تسعفها به ذاكرتها .

ولم يكن السيد "رافيل" من أولئك الذين يسهل نسيانهم .

كان رجلاً صعب المراس، فظلاً في بعض الأحيان، غنياً جداً ..

وكانت سكرتيرته وتابعه - وهو في ذات الوقت مدلك متمرس - يرافقه أينما

ذهب .. إنه كان قعيماً وبحاجة إلى معونتهما ..

وتساءلت الأنسة "ماربل": ترى هل ظل "جاكسون" مع سيده إلى آخر لحظة .. ؟

ربما لا ..

فقد كان السيد "رافيل" مولعاً بالتغيير والتعديل .. وكان سريع التعب من الناس

ووجوههم .. ولكنه كان نعم الحليف ..

لقد عرفت ذلك بنفسها خلال الفترة القصيرة المثيرة التي عملا فيها معاً ..

وتذكرت الأنسة "ماربل"، كيف انطلقت تعدو تحت جناح الظلام حتى وصلت

إليه .. وكيف ضحك حين رأى الشملة الوردية اللون التي كانت تغطي بها رأسها

في تلك الليلة .

وأطرقت براسها وغمغمت:

- مسكين يا سيد "رافيل" .. أرجو الا يكون قد نال كثيراً.
وتذكرت كيف كان يتألم خلال الاسابيع التي قضاها في الجزيرة .. وكيف
احتمل آلامه بصبر وشجاعة.

نعم .. كان رجلاً شجاعاً .. ورغم مرضه وكبير سنه فمن المحقق أن العالم قد خسر
شيئاً بفقدته.

ولم تكن الأنسة "ماريل" تعرف شيئاً عن أساليبه في العمل؛ فلعله كان في
معاملاته شديد الصلابة والشراسة .. ولكنها كانت واثقة بان في أعماقه بعض
رواسب من الرحمة حرص على ألا تبدو في نبرات صوته أو قسماات وجهه.
ترى هل كان رب أسرة ..؟

إنه لم يتحدث قط عن زوجة أو ولد .. ولعله لم يكن يشعر بالوحدة؛ لان حياته
كانت حافلة مليئة.

وقضت كذلك وقتاً طويلاً تفكر في السيد "رافيل" وتعجب لامره.

إنها لم تره منذ عودتها إلى "إنجلترا" .. ولم تكن تتوقع أن تراه .. ولكن لو أنه
اتصل بها. واقترح عليها أن يتقابلا .. بدافع من إحساسه بوجود رابطة بينهما ..
هي حياة ذلك الإنسان الذي تعاوننا على إنقاذه في جزيرة "سان أونوريه" .. أو أية
رابطة أخرى من نوع آخر .. مثل وحدة الطباع او ..
وكفت عن التفكير فجأة ..

كلا .. لا يمكن أن يكون بينهما وحدة طباع .. وهي لا يمكن أن يكون لها مثل
غطرسته .. وصرامته، وطباعه الغظة ..

وفي المساء، كان موضوع السيد "رافيل" لا يزال يشغل بالها وهي تسير الهوينى
بين شجيرات حديقته ..

وحانت منها التفاتة إلى زهرة من نوع معين فقالت بصوت مرتفع:

- كم أمقت هذه الزهور .. ألم أقل لـ "جورج" أكثر من مرة إنني لا أريدها في
حديقتي ..؟

وحينئذ سمعت صوتاً في الجانب الآخر من السور الذي يفصل بين الحديقة
والطريق يقول:

- معذرة .. هل قلت شيئاً ..؟

فاجابت:

- كلا .. أظن أنني كنت أتحدث إلى نفسي.

ونظرت من فوق السور، ورأت امرأة لا تعرفها.

كانت تعرف أهل القرية كلهم تقريباً .. أما هذه المرأة المتوسطة القامة القوية
البناء .. فإنها لم يسبق لها أن رأتها ..

قالت:

- إن الناس في مثل سني كثيراً ما يتحدثون إلى أنفسهم.

فقالت المرأة:

- إن لديك حديقة جميلة ..

- إنها لم تعد كذلك الآن .. عندما كنت أشرف عليها شخصياً ..

فقاطعتها المرأة:

- آه .. أنا أفهم ما تعنين .. أكبر الظن أنك أوكلت أمرها إلى أحد أولئك العجائز
الذين يزعمون أنهم يعرفون كل شيء عن فلاحه البساتين بينما هم لا يعرفون إلا
القليل. أو لا يعرفون شيئاً على الإطلاق، كل ما يفعلونه أنهم يجتزؤون قليلاً من
العشب ويحتسون عددًا لا يحصى من أقذاح الشاي .. أنا شخصياً شديدة الولع
بفلاحه البساتين ..

- هل تقيمين هنا ..؟

- إنني أقيم في بيت السيدة "هاستنجز" .. اعتقد أنني سمعتها تتحدث عنك.

الست الأنسة "ماريل" ..؟

- بلى.

- أنا ادعى "بارتليت" .. الأنسة "بارتليت" .. وقد أوكلت إلي السيدة
"هاستنجز" أمر العناية بحديقته .. ولكنها لا تريد سوى الزهور الموسمية

المالوفة .. وذلك لا يتطلب براعة .. ولا يكلفني جهداً كثيراً .. فإذا أردت معونة فإنني على استعداد لأن أبذل لحدیقتك ساعة أو ساعتين كل يوم .. وأؤكد لك أنني ساكون أفضل من البستاني الذي لديك الآن .

- الواقع أنني أحب الزهور ولا اهتم بالحضر ..

- إنني أزرع خضر حديقة السيدة "هاستنجز" .. وهو عمل ممل .. أظن أنني يجب أن أذهب الآن .

ونظرت إلى الأنسة "ماربل" من قمة رأسها إلى أخمصي قدميها .. كأنها تريد أن تطبع صورتها في ذهنها .. ثم حبتها ومضت في سبيلها ..

وفكرت الأنسة "ماربل" ..

من تكون السيدة "هاستنجز" هذه ..؟ إنها لا تذكر هذا الاسم ..

لعلها إحدى القاطنات في البيوت الجديدة التي شيدت في نهاية طريق ("جيل طارق") .. وانتقلت إليها بعض العائلات في العام الماضي ..

الفصل الثاني

كلمة السر

- 1 -

بعد نحو أسبوع .. حمل البريد إلى الأنسة "ماربل" ثلاث رسائل، فتناولت إحداها ونظرت إليها طويلاً قبل أن تفضها .

أما الرسلتان الأخریان، فكان يبدو أنهما تحتويان على فواتير، أو إيصالات لا أهمية لها .

كانت الرسالة التي أثار اهتمامها تحمل طابع بريد "لندن"، وغلافها مستطيل ومن نوع جيد، وقد كتب عليها العنوان بالآلة الكاتبة ..

فضتها الأنسة "ماربل" بعناية .. وقرت في أعلاها اسم: ("برودريب")

"وشوستر" : محاميان ومسجلا عقود .

كانت رسالة مهذبة، مكتوبة بأسلوب رجال القانون، وفيها يطلب إليها المحاميان زيارتهما في مكتبهما في "بلوفر بيرري" بـ"لندن" يوم الخميس التالي لبحث موضوع قد يفيدها، وإذا لم يلائمها هذا الموعد، فلتفضل بتحديد موعد آخر في وقت قريب .. وأضافا أنهما محاميا السيد "رافيل" اللذان يعتقدان أنها لا تعرفه .

قرأت الأنسة "ماربل" الرسالة وقطبت حاجبها في دهشة . وراحت تهبط درج السلم ببطء وهي مستغرقة في التفكير، بينما كانت وصيفتها "شيرى" تتبعها عن كثب؛ لتخف إلى نجدتها فيما إذا تعثرت على السلم العتيق .

قالت لها الأنسة "ماربل" :

- أراك شديدة الاهتمام بي يا "شيرى" .

- يجب أن أكون كذلك يا آنسة "ماربل" .. فإن الناس الطيبين قلائل .

- شكراً لك على ذلك الإطراء يا "شيرى" ..

- هل ثمة ما يضايقك يا آنسة "ماربل"؟ يبدو أنك مشغولة البال .

- لا شيء يا "شيرى" .. لقد تسلمت للتلور رسالة عجيبة من أحد مكاتب

الهاماة .

فقالت "شيرى" التي تعودت أن تعتبر رسائل الهاميين نذير شر:

- أرجو ألا يكون هناك من يريد مقاضاتك .

- لا أظن ذلك .. إنهما يظليان إليّ مقابلتهما في "لندن" في الأسبوع القادم .

- لعل بعضهم توفي وأوصى لك بثروته .

- هذا أمر بعيد الاحتمال .

- من يدري ..؟

وتهاككت الأنسة "ماربل" في مقعدها المألوف وتناولت حقيبة الحياكة ..

- هل يمكن حقاً أن يكون السيد "رافيل" قد ترك لها مبلغاً من المال ..؟

- ولكن السيد "رافيل" ليس من ذلك الطراز .

- ولم يكن في استطاعتها الذهاب إلى "لندن" في الموعد المحدد؛ إذ كان مقرراً أن

تشارك في اجتماع بمعهد السيدات لمناقشة موضوع جمع التبرعات لإنشاء غرفتين إضافيتين بالمعهد المذكور.. فكتبت إلى المحامين تحدد موعداً آخر في الأسبوع التالي.

- 2 -

نظر السيد "برودريب" في ساعته وقال يحدث شريكه السيد "شوستر":

- ترى ما شكلها..؟

فاجاب "شوستر":

- إذا كانت ممن يحافظن على المواعيد، يجب أن تكون هنا خلال ربع ساعة.

- أعتقد أنها متقدمة في السن، والمسنون أحرص على المواعيد من شباب اليوم الطائشين.

- ترى هل هي نحيلة أم بدينة؟

فهز "برودريب" رأسه ولم يجب.

قال "شوستر":

- ألم يصفها السيد "رافيل"؟..

- لقد كان شديد الحذر في كل ما ذكره عنها.

- إن الأمر كله يبدو غاية في الغرابة.. ليتنا فقط نعلم ما حقيقة الموضوع!

ففكر "برودريب" قليلاً ثم قال:

- قد يكون الموضوع خاصاً بـ "مايكل".

- بعد كل هذه الستين..؟ لا أظن.. ولكن ما الذي جعلك تفكر في ذلك..؟

هل قال لك..؟

- لم يقل لي شيئاً.. ولم يشر من قريب أو بعيد إلى ما يدور بخلده.. لقد

أصدر إليّ تعليماته فحسب.

- هل تظن أنه أصيب بلوثة في الأيام الأخيرة..؟

- كلا.. بالتأكيد.. إن اعتلال جسده لم يؤثر على قواه العقلية.. وقد ربح مائتي

الف جنيه من صفقاته خلال الشهرين الأخيرين من حياته..

- الحق أنه كان موهوباً..

- كانت له عقلية مالية منقطعة النظير.

دق جرس التليفون في هذه اللحظة فتناول "شوستر" السماعة، وسمع صوتاً

نسائياً يقول:

- لقد جاءت الآنسة "جين ماربل" وهي على موعد مع السيد "برودريب".

فنظر "شوستر" إلى شريكه وأوما هذا برأسه، فقال "شوستر" محدثاً

السكرتيرة:

- دعيتها تدخل..

دخلت الآنسة "ماربل" ورأت رجلاً متوسط العمر، نحيل الجسم، ينهض

لتحيتها.. ووقع بصرها على رجل آخر أصغر سناً، وأقوى بنية يقف بجواره.

قال الأول:

- اسمحي لي بأن أقدم لك شريكى السيد "شوستر".

وقال هذا:

- أرجو ألا يكون صعود السلم قد أتعبك..

- إنني ألهث قليلاً كلما ارتقيت سلماً..

فقال "برودريب" معتذراً:

- الواقع أن المبنى عتيق وليس به مصعد، ولكننا نشغل هذا المكتب منذ وقت

طويل.

فقالت الآنسة "ماربل" وهي تجمل البصر حولها:

- إن المكان جميل على كل حال.

وجلست على المقعد الذي قدمه إليها "برودريب". بينما تسلل "شوستر" في

هدوء إلى الخارج.

وبعد حديث تقليدي قصير عن الطقس والصقيع قال "برودريب" وهو يعبث

ببعض أوراق أمامه:

- لا شك في أنك سمعت عن وفاة السيد "رافيل" .. أو لعلك قرأت النبا في الصحف .

- لقد قرأت النبا في إحدى الصحف .

- كان صديقاً لك فيما اعتقد .

- إنني قابلته لأول مرة منذ أكثر من عام .. كان ذلك في جزر "الهند الغربية" .

- آه .. اذكر أنه ذهب إلى هناك للاستشفاء .

ولكن المرض كان قد برح به .. وكان قعيداً كما تعلمين .

- نعم .

- هل كنت تعرفينه جيداً؟

- لا أستطيع أن أزعم ذلك .. كنا مجرد سائحين مقيمين في فندق واحد ..

يتبادلان الحديث أحياناً . ولكنني لم أراه قط بعد عودتي إلى "إنجلترا" .. ولعل

السبب أنني أقيم في بقعة ريفية هادئة .. وأنه كان منصرفاً كلية إلى عمله .

- الواقع أنه ظل يباشر عمله حتى آخر يوم في حياته .. كان ذا عقلية مالية فذة ..

- أنا واثقة بذلك .. ولقد تبينت على الفور أنه شخصية غير عادية .

- هل لديك أية فكرة عن الاقتراح الذي أصدر إلي السيد "رافيل" تعليماته بان

أعرضه عليك ..؟

- ليس في استطاعتي أن أتصور أي نوع من الاقتراحات يمكن أن يعرضه علي

السيد "رافيل" .

- إنه كان يكن لك أعظم تقدير .

- هذا كرم منه . فإنني مخلوقة بسيطة للغاية .

- لا شك في أنك تعلمين أنه كان واسع الثراء .. وقد كتب وصية قبل وفاته .

- هذا أمر مالوف في هذه الأيام .

- إنني طلبت مقابلتك لكي أقول لك إن السيد "رافيل" كلفني بان أنهي إليك

أنه قد خصص مبلغاً من المال سيكون حقاً لك بعد عام ، بشرط أن تقبلي الاقتراح

الذي سأطالعك عليه .

قال ذلك وتناول من فوق مكتبه ظرفاً مستطيلاً مختوماً قدمه إليها .. واستطرد

قائلاً:

- لعل من الأفضل أن تقرئي بنفسك ما جاء في هذا الخطاب .. اقرئي على مهل؛

فليس ثمة ما يدعو إلى العجلة ..

وفي تمهل، فضت الأنسة "ماربل" الغلاف وأخرجت منه ورقة مكتوبة على الآلة

الكتابة . وقرأتها بإمعان ثم نظرت إلى "برودريب" وسالت:

- ألا توجد تفصيلات أخرى من أي نوع؟

- لا أعلم لي بشيء .. لقد طلب إلي أن أقدم إليك هذه الرسالة، وأن أذكر لك

المبلغ الذي أوصى به .. المبلغ هو عشرون ألفاً من الجنيهات خالصة من ضرائب

التركات .

فنظرت إليه الأنسة "ماربل" وقد أذهلتها المفاجأة وأفقدتها المقدرة على الكلام .

وراح "برودريب" يرقبها في صمت ..

لم يكن هناك شك في أن ما سمعته الأنسة "ماربل" في التو واللحظة كان آخر ما

توقعت أن تسمعه .

قالت أخيراً وهي تنظر إليه بحدة:

- إنه مبلغ كبير جداً ..

- ليس بسعر النقد في هذه الأيام ..

- يجب أن أقول لك بصراحة إنني في أشد حالات الدهشة .

وراحت تقرأ الرسالة مرة أخرى بمزيد من العمق ثم قالت:

- هل تعرف ما جاء بهذه الرسالة ..؟

- نعم .. لقد أملاها علي السيد "رافيل" شخصياً .

- ألم يذكر لك شيئاً من التفصيلات ..؟

- كلا ..

- ولكن يخيل إلي أنك اقترحت عليه أن يذكر مزيداً من التفصيلات ..؟

فمرت على شفني "برودريب" ابتسامة شاحبة وقال:

- هذا ما فعلته .. قلت له إنه يشق عليك أن تفهمي غرضه تماماً ..
فقلبت الأنسة "ماربل" شفتها ولم تجب ..
قال "برودريب":
- لا حاجة بك طبعاً إلى الإدلاء برأيك الآن ..
- يجب أن أفكر في الأمر.
- إن المبلغ كبير كما ذكرت أنت، ويستحق التفكير.
- لقد تقدمت بي السن، وقد لا يمتد عمري عاماً آخر لكي أربح هذا المبلغ ..
ذلك إذا استطعت أن أربحه على الإطلاق.
- إن المال شيء لا ينبغي أن يحتقره الإنسان مهما كانت سنه.
- هذا صحيح .. وفي استطاعتي بهذا المبلغ أن أفيد بعض المؤسسات الخيرية التي
يهمني أمرها .. ويوجد دائماً أناس يود الإنسان أن يمد إليهم يد المساعدة .. ولكن
إيراداته الخاصة لا تسعفه .. فضلاً عن أنه توجد بعض متع ومسرات يطيب لي أن
أنعم بها، ولم يصدني عنها سوى ضيق ذات اليد ..
- في استطاعتك مثلاً أن تذهبي في رحلة إلى الخارج .. وأن تغشي المسارح
والحفلات الموسيقية وأن تحشدي في قبوك أفخر المشروبات.
- إنني أكثر تواضعاً من ذلك .. بحسبي أن أتناول (سمانة) كاملة .. وأن أحصل
على علبه من (المارون جلاسيه) .. وحبذا امتلاك سيارة أذهب بها إلى دار الأوبرا ..
ثم تنهدت وقالت:
- أرى أنني أهييم في عالم الوهم والخيال .. سأخذ معي هذه الرسالة لأعيد
تلاوتها وأفكر فيما جاء بها .. ولكن بحق السماء .. ماذا حمل السيد "رافيل" علي
أن .. اليسست لديك أية فكرة عن الأسباب التي حملت السيد "رافيل" علي أن
يعرض عليّ هذا الاقتراح، وماذا جعله يعتقد أنني أستطيع أن أفيد بطريقة ما؟ كان
ينبغي عليه أن يعلم أن عاماً قد انقضى .. وأنتي قد أصبحت أشد ضعفاً وأقل
مقدرة على استخدام مواهبى المحدودة عما كنت قبلاً ..
من المحقق أن هناك كثيرين أصلح مني للاضطلاع بالمهمة التي أوكلها إليّ.

فقال "برودريب":

- وذلك بصراحة هو رأيي أيضاً .. ولكنه اختارك أنت يا آنسة "ماربل"، ومعدرة
عن فضولي إذا سألتك: هل لك صلة بموضوع الجرائم وتحقيقتها ..؟
- ليست لي أية صلة رسمية، وكل ما أستطيع أن أقوله لك على سبيل الإيضاح
هو أنني والسيد "رافيل" قد اشتركنا في موضوع جريمة قتل محيرة أثناء إقامتنا في
جزر "الهند الغربية".
- هل تعين أنكما استطعتما إماطة اللثام عنها ..؟
- الأصح أنه هو بقوة شخصيته .. وأنا بقوة ملاحظتي ومقدرتي على التقصي
والاستنتاج قد استطعنا أن نحول دون وقوع جريمة قتل.
ولم يكن ممكناً أن أفعل ذلك وحدي؛ لأنني ضعيفة .. ولا أن يفعله هو بمفرده؛
لأنه كان كسيحاً .. ولذلك تحالفنا معاً ونجحنا.
- سؤال آخر يا آنسة "ماربل" .. كلمتا (عدالة السماء) هل تعنيان شيئاً بالنسبة
إليك ..؟
فأجابته وقد أشرق وجهها بابتسامة:
- عدالة السماء ..؟ نعم .. إنهما تعنيان شيئاً بالنسبة إلى السيد "رافيل" .. لقد
وصفت له نفسي ذات مرة بأنني أمثل (عدالة السماء).
فارتسمت في عيني "برودريب" نظرة دهشة. كتلك التي لا بد قد ارتسمت في
عيني "رافيل" وهو طريح الفراش حين سمع هذه العجوز المتهالكة تصف نفسها
بأنها تمثل عدالة السماء ..
نهضت الأنسة "ماربل" وهي تقول:
- إذا عرفت أو تلقيت من المعلومات ما يلقي ضوءاً على الموضوع الذي ذكره
السيد "رافيل" في رسالته، أرجو أن تبلغني إياه يا سيد "برودريب" .. سوف
يدهشني ألا تتلقى مثل هذه المعلومات، وإلا فإنني سأظل في جهل تام بما يريد
السيد "رافيل" أن أفعله ..
- ألا تعرفين أسرته .. وأصدقائه .. و..؟

- كلا.. قلت لك إننا كنا مجرد زميلين في رحلة سياحية ببلد أجنبي.. ثم نشأ بيننا نوع من التحالف حيال قضية محيرة..

قالت ذلك وسارت إلى الباب.. ولكنها توقفت فجأة عندما بلغته وقالت:

- كانت للسيد "رافيل" سكرتيرة خاصة هي الآنسة "إستر والترز".. هل ثمة ما يمنحك من أن تقول لي ما إذا كان السيد "رافيل" قد أوصى لها بمبلغ من المال؟

- إن مضمون الوصية سينشر في الصحف. ولكنني أستطيع أن أقول إنه أوصى لها بخمسين ألفاً من الجنيهات. وبهذه المناسبة إن السيدة "الترز" قد تزوجت وأصبح اسمها الآن السيدة "أندرسون".

- يسرني أن أعلم ذلك.. إنها كانت أرملة.. ولها ابنة واحدة.. وكانت تفهم السيد "رافيل" جيداً. الحق أنها كانت على جانب عظيم من الكفاءة.

وفي مساء ذلك اليوم، جلست الآنسة "ماربل" في مقعدها أمام الموقد، وبسطت الرسالة التي تركها لها السيد "رافيل" وراحت تعيد تلاوتها في صمت تارة، وبصوت مسموع تارة أخرى كأنما تسجل بعض عباراتها في ذاكرتها:

«إلى الآنسة "ماربل" بقرية "سانت ماري ميد":

سوف تصلك هذه الرسالة بعد موتي، عن طريق محامي اسمه السيد "جيمس برودريب" الذي يتولى المشكلات القانونية في حياتي، وهو رجل أمين جدير بالثقة ولكنه خليق - كماكثر الناس - بأن يصاب بأفة الفضول.. ولم أشأ أن أشيع فضوله.. فإنني أريد لهذا الموضوع أن يظل سراً بيني وبينك..

إن كلمة السر بيننا يا سيدتي العزيزة هي (عدالة السماء) ولا أظنك قد نسيت المكان أو الظروف التي ذكرت فيها هذه الكلمة لأول مرة.

لقد اكتشفت خلال حياتي العملية الطويلة الصفة التي يجب أن تتوفر للشخص الذي أود استخدامه.. هذا الشخص يجب أن تكون له حاسة سادسة بالنسبة للعمل الخاص الذي أسنده إليه.. والحاسة السادسة ليست المعرفة أو التجارب.. وإنما الموهبة الطبيعية لاداء عمل معين.

وأنت يا سيدتي العزيزة لديك حاسة سادسة بالنسبة إلى العدالة، وبالتالي لديك

حاسة سادسة بالنسبة إلى الجريمة.. وأنا أريدك أن تضطلمي بتحقيق جريمة معينة.. وقد رصدت مبلغاً من المال سيكون من حقك إذا أنت قبلت هذه المهمة ونجحت في أداؤها خلال عام واحد.

إنك لست في مقتبل العمر، ولكنك قوية البنية. واعتقد أن بوسعي أن أطمئن إلى أن القدر سيد في عمرك عاماً آخر على الأقل.

وأكبر ظني أن هذه المهمة لن تثير نفورك، فقد وهبتك الطبيعة مقدرة عجيبة على تحقيق الجرائم.

أما النفقات التي يتطلبها العمل، فإنها ستصرف لك أولاً بأول..

إنني أعرض عليك هذه المهمة كبديل للحياة الهادئة الحاملة التي تحببها الآن.. فانا أتخيلك جالسة في مقعد كبير مما يرتاح مرضى الروماتيزم إلى الجلوس فيه. ذلك أن جميع الناس في مثل سنك يعانون نوعاً من أنواع الروماتيزم، فإذا كان هذا المرض قد أصاب ظهرك أو ركبتيك فانت لا تتحركين بسهولة وتقضين جل وقتك في الحياكة والتطريز.. وإنني أراك الآن بعين الخيال، كما رأيتك ذات ليلة، وبين يديك كرة ضخمة من خيوط الصوف الوردي اللون، تحمكين منها مزيداً من المعاطف والشملات وأشياء أخرى لا أعرف أسماءها.. فإذا آثرت الاستمرار في الحياكة فذلك شأنك.. وإذا آثرت خدمة العدالة فإنني أرجو أن تجدي في ذلك شيئاً من المتعة على الأقل.

"رافيل"

الفصل الثالث

الآنسة "ماربل" تعمل

- 1 -

قرأت الآنسة "ماربل" هذه الرسالة ثلاث مرات، ثم وضعتها جانباً، وراحت تفكر في مضمونها ومغزاها.

كان أول ما لاحظته على الرسالة خلوها من أية معلومات محددة. فهل سيوافيها

برودريب " بهذه المعلومات ..؟

- إنها واثقة بأن ذلك لن يحدث؛ لأنه لا يتلاءم مع خطة السيد "رافيل" ..

ولكن ماذا كان "رافيل" يريد أن يفعل في موضوع لا تعلم عنه شيئاً ..؟

لا شك في أن الرجل تعمد أن يضعها أمام لغز محير.

وعادت بها الذاكرة إلى الفترة القصيرة التي عرفته فيها ..

تذكرت عاهته وعجزه وضيق صدره. وسخريته اللاذعة ولحات مرحة القليلة،

وخلصت من ذكرياتها عنه إلى أنه كان يجد متعة في إغاطة الناس .. ألم يكن ما

جاء في رسالته دليلاً على أنه استمتع بإغاطة "برودريب" حين تعمد ألا يشبع

فضوله ...؟

ولم يكن في الرسالة ما يرشدها إلى الجريمة التي يريد أن تضطلع بتحقيقها، من

المؤكد أنه تعمد ذلك لغرض في نفسه ..

- ولكن كيف تبدأ هي؟ ومن أين تبدأ ..؟

- إنها تجد نفسها أمام ما يشبه أن يكون لغزاً من الغاز الكلمات المتقاطعة. ولكن

بلا شرح أو إيضاح يرشدها إلى الكلمات المطلوبة.

ينبغي أن يكون هناك ما يرشدها .. وأن تعرف على وجه التحديد ما المطلوب

منها .. وإلى أين يجب أن تتجه .. وهل القضية من النوع الذي يقتضيها أن تقبع

في مقعدها، وتعمل بإبرتها لكي تركز تفكيرها وتصل إلى الحل، أم أن "رافيل"

يريد أن تستقل طائرة أو باخرة تذهب بها إلى جزر "الهند الغربية" أو "أمريكا

اللاتينية" أو أي مكان آخر معين ..؟

إنها أمام أحد أمرين، إما أن تكتشف بنفسها المهمة التي يراد منها القيام بها .. أو

تنتظر حتى تتلقى تعليمات واضحة محددة بشأنها ..

أم لعل الرجل ظن أنها من البراعة بحيث تستطيع أن تخمن، وتسال وتهتدي

بنفسها إلى الطريق ..؟

قالت بصوت مرتفع:

- إذا كان قد ظن ذلك فمن المؤكد أنه أصيب بالجنون قبل أن يموت.

ولكنها كانت واثقة بأنه لم يجن قبل أن يموت.

قالت لنفسها:

- سوف أتلقى تعليمات .. ولكن ماذا ستكون هذه التعليمات ..؟ ومتى

سأتلقاها؟

وأدركت فجأة أنها تفكر وكأنها قد قبلت المهمة بصفة نهائية، فقالت مرة أخرى

بصوت مرتفع وهي تنظر إلى الفضاء:

- إنني أومن بخلود الروح .. وأنا لا أعلم أين أنت الآن يا سيد "رافيل"، ولكنني

واثقة بأنك في مكان ما، وسوف أبذل قصارى جهدي لتحقيق رغباتك.



بعد ثلاثة أيام، كتبت الأنسة "ماريل" إلى السيد "برودريب" الرسالة المقتضية

التالية:

عزيزي السيد "برودريب"

لقد فكرت في الأمر وقررت قبول اقتراح السيد "رافيل"، وسأبذل قصارى

جهدي لتحقيق رغباته، رغم أنني لست واثقة بالنجاح.

والواقع، كيف يمكن أن أنجح وأنا لا أجد في رسالته أية تعليمات ..؟

فإذا كانت لديك رسائل أخرى تتضمن معلومات أو إيضاحات فإنني أكون

سعيدة إذا بعثت بها إلي.

إنني أفترض أن السيد "رافيل" كان يتمتع بكامل قواه العقلية قبل أن يموت.

وأعتقد أن من حقي أن أسأل: هل كانت في حياة السيد "رافيل" العملية أو

الخاصة قضية جنائية تثير اهتمامه؟ وهل عبر لك مرة عن غضبه أو استيائه من سوء

تطبيق العدالة في قضية ما ..؟ وهل تعرض أحد أقاربه أو معارفه للمتاعب أو كان

ضحية لمعاملة ظالمة؟

أنا واثقة بأنك ستدرك الأسباب التي تحملني على إلقاء هذه الأسئلة .. إن السيد

"رافيل" نفسه ربما قد توقع أن ألقياها.

عرض "برودريب" هذه الرسالة على شريكه السيد "شوستر" الذي اعتدل في مقعده وقال:

- لقد قبلت المهمة .. أليس كذلك ..؟ يا لها من عجوز جريئة! أعتقد أنها تعرف شيئاً عن الموضوع.

- لا أظن ذلك ..

- ليتنا كنا نعرف .. حقاً لقد كان رجلاً غريب الأطوار.

- وصعب المراس.

- ليست لدي أية فكرة عن الجريمة التي ذكرها في رسالته، فهل لديك أنت؟

- كلا .. وأظن أنه تعمد ألا يدعني أعرف شيئاً عنها ..

- إنه بذلك قد زاد الأمر صعوبة وتعقيداً .. ولا أظن أن في استطاعة هذه العجوز الريفية أن تقر ما يدور بخلد رجل ميت .. ألا يمكن أن يكون الأمر كله مجرد دعابة ..؟ وأنه ربما علم أنها تتيه ببراعتها في حل المشكلات الريفية فأراد أن يسخر منها ..؟

- لا أعتقد ذلك. فإن "رافيل" لم يكن من هذا الطراز.

- إنه كان شيطاناً مريداً في بعض الأحيان.

- هذا صحيح .. ولكنني أظن أنه كان جاداً في هذا الموضوع .. كان ثمة شيء يهمه وبضايقه ..

- ألم يفصح لك عنه ..؟

- كلا.

- إذن فالموضوع مجرد دعابة.

- إن عشرين ألفاً من الجنهات مبلغ لا يستهان به.

- نعم .. ولكن هب أنه كان يعلم أن العجوز لن تظفر به ..؟

- إنه لم يكن تافهاً إلى هذا الحد. لا بد أنه كان يعلم أن لديها فرصة للظفر بهذا المبلغ.

- وماذا علينا أن نفعل؟

- لا شيء سوى أن ننتظر لنرى ما يكون .. لا بد أن يحدث تطور ما.

- هل لديك تعليمات أخرى مختومة ..؟

- يا عزيزي "شوستر" .. لقد كان السيد "رافيل" يثق بإخلاصي لعملتي واحترامي لآداب مهنتي كمحام. إن التعليمات المختومة التي نتحدث عنها لن تفض إلا في ظروف معينة .. وهذه الظروف لم تطرأ بعد ..

- ولن تطرأ ..

- وانتهى الحوار عند هذا الحد.

- 2 -

كان "برودريب" و"شوستر" أسعد حظاً من الآنسة "ماريل". فقد كانت لهما مهنة تستغرق كل وقتها .. أما هي فلم يكن لديها ما تفعله .. سوى أن تعمل بآهاتها وتفكر أو أن تخرج للتنزه أحياناً فتثير احتجاج وصيقتها "شيري" التي لا تلبث أن تصيح:

أنت تعرفين أوامر الطبيب .. لقد حظر عليك ممارسة أي لون من ألوان الرياضة ..

- أنا لا أمارس أية رياضة .. أنا أسير ببطء وأفكر في بعض الأمور.

- أية أمور ..؟

- ليتني أعلم ..

ثم استطرقت بعد بصمت قصير:

- هل تعرفين سيّدة تقسيم في بيت جديد قريب من هنا تدعى السيدة

"هاستنجز"؟ وسيّدة أخرى تقيم معها تدعى الآنسة "بارتليت" ..؟

- هل تعنين ذلك البيت الذي أعيد طلاؤه والذي يقع في طرف القرية ..؟ إن

سكانه جاءوا منذ فترة وجيزة. وأنا أجهل أسماءهم. فماذا تريد من معرفته

عنهم ..؟

- هل ثمة صلة قرابة بين هاتين السيدتين ..؟

- كلا .. أعتقد أنهما مجرد صديقتين.

- ترى لماذا؟ ..

ولم تتم عبارتها فهتفت "شيري":

- عم تتساءلين؟ ..

- لا شيء .. أريد قلماً وورقاً لاكتب رسالة.

فسالت "شيري" بما طبعت عليه من فضول:

- لمن؟ ..

- لشقيقة قس يدعى "بريسكوت".

- ذلك القس الذي قلت إنك قابلته خلال رحلتك إلى جزر "الهند الغربية"؟ ..

- نعم ..

- وماذا يحملك على الكتابة إلى أحد القساوسة؟ هل أنت متعبة؟ ..

فصاحت الأنة "ماربل":

- إنني بخير .. وفي أحسن صحة .. وأريد أن أبدا عملاً .. وربما استطاعت

الأنة "بريسكوت" مساعدتي.

وكتبت الرسالة التالية:

عزيزتي الأنة "بريسكوت" ..

لعلك مازلت تذكريني .. فإنني قابلتك مع أخيك في جزيرة "سان أونوريه".

- أرجو ألا يكون القس العزيز قد عانى كثيراً ضيق التنفس بسبب برودة الجو في

الشتاء الماضي.

- إنني أكتب إليك الآن للاستفسار عن عنوان "الترز" - "إستر والترز" -

السكرتيرة الخاصة للسيد "رافيل".

إنها ذكرت لي عنوانها ومن سوء الحظ أنني نسيتته، وبودي أن أبلغها بعض معلومات خاصة بزراعة الزهور التي كانت قد طلبتها مني ..

"لقد علمت بطريق غير مباشر - أنها تزوجت للمرة الثانية .. ولكن الشخص

الذي أتباني بذلك لم يكن واثقاً بصحة هذا النبأ .. ولعل عندك أنت الخير اليقين ..

تحياتي لأخيك القس، وأطيب تمنياتي لك".

وشعرت الأنة "ماربل" بكثير من الارتياح بعد أن أرسلت هذا الخطاب وقالت لنفسها:

- هذه مجرد محاولة قد تثمر وقد لا تثمر .. ولكنها بداية عمل على كل حال.

وجاء رد الأنة "بريسكوت" بعودة البريد، متضمناً العنوان المطلوب وقرأت فيه الأنة "ماربل" ما يلي:

أنا أيضاً سمعت عن زواج "إستر والترز" بطريق غير مباشر .. قالت لي إحدى صديقاتي إنها قرأت النبأ .. وإن اسمها بعد الزواج قد أصبح السيدة "أندرسون" .. وهي تقيم في "ونسلو لودج" بالقرب من مدينة "التون" طلب إلي أخي أن أبلغك تحياته ..

مما يؤسف له حقاً أن المسافة بيننا طويلة، فنحن نقيم في شمال "إنجلترا" .. بينما تقيمين أنت في جنوب "لندن" .. ولكنني أرجو أن نلتقي في مناسبة ما في المستقبل القريب.

"جوان بريسكوت"

غمغمت الأنة "ماربل" وهي تسجل العنوان:

- "ونسلو لودج" .. إنها ليست بعيدة عن هنا. وأستطيع الوصول إليها بإحدى سيارات الاجرة .. وإذا نجحت الرحلة، أمكن تسجيل نفقاتها على حساب السيد "رافيل".

والآن .. هل أكتب لـ "إستر والترز" قبل زيارتها .. أم أترك الأمر للظروف؟ لعل الأفضل أن أتركه للظروف. مسكينة .. من المؤكد أنها لا تشعر نحو أي حب أو عطف.

وعادت بها الذاكرة إلى مغامراتها في "سان أونوريه" .. من المؤكد أنها انقذت حياة "إستر والترز" في هذه المغامرة .. ذلك هو رأيها هي على الأقل، ولكن ربما كان لـ "إستر والترز" رأي آخر ..

قالت بصوت خافت:

- إنها امرأة لطيفة .. بل لطيفة جداً .. وقد كادت المسكينة أن تتزوج قاتلاً ..
ولذلك أعتقد أنني أنقذت حياتها حين أفسدت هذا الزواج . ولكنني أظنها لا
توافقني على هذا الرأي .. بل لعلها تمقتني بسببه .. ولهذا قد لا أستطيع الحصول
منها على المعلومات التي أنشدها .. ولكنني سأحاول .. فاجهولة مهما كانت
نتيجتها أفضل من الانتظار ..

وفي صباح اليوم التالي، طلبت الآنسة "ماربل" إلى وصيفتها أن تأتيها بإحدى
سيارات الأجرة . وسألها "شيري" :

- هل ستذهبن إلى "لندن" ؟ ..

- كلا .. ولكنني سأتناول الغداء في "هازملير" .

فقال "شيري" وهي تنظر إليها في ارتياب :

- ترى ماذا تدبرين .. ؟

- أدبر لقاء مع شخص بطريق المصادفة ..

وفي منتصف الساعة الثانية عشرة، جاءت السيارة، فقالت الآنسة "ماربل"
لوصيفتها :

- اتصلني تليفونياً بهذا الرقم يا "شيري"، واسألني عن السيدة "أندرسون"،
وقولي لها إن السيد "برودريب" يريد التحدث إليها .. وإنك سكرتيرته .. فإذا قيل
لك إنها خرجت .. فاسألني متى ستعود .

- وإذا تحدثت إلي بنفسها .. ؟

- اطلبي إليها أن تحدد موعداً في الأسبوع القادم لمقابلة السيد "برودريب" في
مكتبه بـ "لندن" .

- ولماذا لا تتحدثين إليها بنفسك .. ؟

- إن الذاكرة لغز عجيب، فقد يحدث أن يذكر الإنسان صوتاً حتى ولو لم يكن
قد سمعه منذ أكثر من عام .

- الا يمكن أن تعرف هذه السيدة صوتي .. ؟

- كلا .. لأنها لا تعرفك ولم يسيق لها أن سمعت صوتك . ولهذا طلبت إليك

أن تتحدثني إليها .

وفعلت "شيري" ما أمرت به . وقيل لها إن السيدة "أندرسون" خرجت لتسوق
وأنها ستعود ظهراً ولن تغادر البيت بقية النهار .

فقال الآنسة "ماربل" :

- هذا حسن .. ذلك ييسر الأمور .

الفصل الرابع

"إستر والترز"

غادرت "إستر والترز" مبنى السوق .. وقصدت إلى حيث تركت سيارتها ..
وهي تقول لنفسها إن إيجاد مكان لوقوف السيارة يزداد صعوبة يوماً بعد يوم ..

واصطدمت في طريقها بعجوز تعرج قليلاً، فاعتذرت لها . وهنفت العجوز في
دهشة :

- عجباً .. أنت السيدة "الترز" .. ؟ "إستر والترز" ؟ لا شك في أنك لا
تذكرينني .. أنا "جين ماربل" .. وقد تقابلنا في فندق بحزيرة "سان أونوريه" ..
منذ أكثر من عام ..

- الآنسة "ماربل" آه .. حقاً .. من كان يظن أنني سألقاك هنا ..

- كم أنا سعيدة بلقائك .. إنني مدعوة لتناول الغداء عند بعض الأصدقاء بالقرب
من هنا .. هل ستكونين في بيتك بعد ظهر اليوم .. ؟ سوف يسرني أن نتجاذب
أطراف الحديث معاً .. آه .. ما أجمل أن يلقى الإنسان صديقاً قديماً ..

- طبعاً .. طبعاً ستجدينني في انتظارك في أي وقت بعد الثالثة .

واتفقتا على ذلك . ومضت "إستر والترز" في طريقها وهي تقول لنفسها :

- "جين ماربل" .. ظننتها ماتت منذ وقت طويل ..

وفي منتصف الساعة الرابعة تماماً، دقت الآنسة "ماربل" جرس الباب ففتحته
"إستر" بنفسها . ورافقتها إلى الداخل .

وجلست الآنسة "ماربل" على المقعد الذي قدمته إليها مضيفةً وهي تقول:
- ما أعجب هذه الدنيا.. يتمنى الإنسان أن يلقي شخصاً بعينه وتحدثه نفسه
بأنه سوف يلقاه حتماً.. وتمضي الأيام.. وإذا به يلقاه فجأة حيث لم يكن يتوقع.
- ويكون أول انطباع له أننا نعيش في عالم صغير. اليس كذلك..؟
- بلى.. إن جزر "الهند الغربية" تبدو بعيدة جداً عن "إنجلترا" .. ومع ذلك
فقد كان يمكن أن القاك فجأة في "لندن" ... أو في أحد المتاجر..
- الواقع.. أنني لم أكن أتوقع أن القاك هنا.. في هذه المدينة البعيدة عن
مسكنك.
- كلا.. كلا.. إنني أقيم في قرية "سانت ماري ميد" وهي ليست بعيدة عن
هنا.. والمسافة لا تتجاوز أربعين كيلو متر.. ولو كنت أعلم أنك تقسمين هنا
لحاولت الاتصال بك.
- لقد انتقلت إلى هنا منذ وقت قصير.. بعد الزواج مباشرة.
- لم يصل إلى علمي أنك تزوجت رغم حرصي على متابعة أنباء الزواج في
الصحف.
- إنني تزوجت منذ أربعة أو خمسة شهور.. واسمي الآن السيدة "أندرسون" ..
- السيدة "أندرسون" .. سأحاول أن أذكر هذا الاسم.. ومن يكون زوجك..؟
كان يبدو من غير الطبيعي ألا نسأل عن الزوج خاصة وأن العجائز معروفات
بالفضول.
أجابت "إستر":
- إنه مهندس.
ثم استطردت بعد تردد:
- وهو أصغر سنًا مني.
- ذلك أفضل يا عزيزتي.. فالرجال في هذا الزمن تدرّكهم الشيخوخة قبل
الأوان، وأسرع من النساء، ربما بسبب الهموم والإسراف في العمل مما يصيبهم
بارتفاع ضغط الدم أو انخفاضه، وبأمراض القلب وقرحة المعدة.. أما نحن فإنني

أظن أننا أصلب منهم وأكثر احتمالاً..
- ربما.
وابتسمت، فاطمأنت الآنسة "ماربل" ..
كانت "إستر" في آخر لقاء بينهما ترمقها بنظرات تنم عن الحقد والكراهية. وربما
كانت في ذلك الوقت تكرهها فعلاً. أما الآن.. فإنها خليقة بأن تنظر إليها بشيء
من الامتنان. فإنه لولاها لكانت نزيلة أحد القبور بدلاً من هذه الحياة السعيدة التي
تحياها مع السيد "أندرسون".
قالت الآنسة "ماربل":
- إنك تبدين في صحة جيدة..
- وأنت كذلك يا آنسة "ماربل".
- إنني تقدمت في السن. والشيخوخة تحمل معها الآلام والأوجاع.. ولست
أعني أنني أعاني مرضاً خطيراً. ولكن هناك الروماتيزم وآلام المفاصل والظهر
والكتفين.. ولكن ما لنا وهذا الحديث.. إن بيتك جميل يا عزيزتي..
وأجالت البصر حولها.
كان كل ما حولها ينم عن الثراء وسعة العيش. ولا بد أن تكون "إستر" قد
ابتاعت هذا الأثاث الثمين اعتماداً على الثروة التي هبطت عليها من السماء بعد
وفاة السيد "رافيل".
ويبدو أن "إستر" أدركت ما يدور بخلفها؛ لأنها قالت على الفور:
- لا شك في أنك قرأت نبأ وفاة السيد "رافيل"؟
- نعم.. نعم.. كان ذلك منذ نحو شهر.. اليس كذلك..؟ ولشد ما حزنت
على وفاته.. رغم أن الجميع كانوا يتوقعونها.. هو نفسه كان يتوقعها وقد قال أكثر
من مرة إنه لن يعيش طويلاً.. كان رجلاً شجاعاً.. ألا تعتقدين ذلك..؟
- بلى.. كان شجاعاً جداً، وكرماً جداً.. وقد قال لي في بداية عملي معه بأنه
سيمنحني مرتباً كبيراً، وأنه يحسن بي أن أدخر بعض هذا المرتب وألا أنتظر منه أية
منحة أخرى.

ولم أنتظر منه أية منحة أخرى، فقد كان دائماً يعني ما يقول. ولكن يبدو أنه غير رايه .

- يسرني أنه فعل ذلك .

- لقد أوصى لي بمبلغ ضخم .. وكان الأمر مفاجأة لي فلم أصدقه في البداية .

- أعتقد أنه أراد على أن يكون مفاجأة لك . ولكن هل أوصى بشيء لذلك الرجل الذي كان يعمل في خدمته؟

- تعين "جاكسون"؟ كلا.. إنه لم يترك له شيئاً. ولكنني أعتقد أنه منحه مبلغاً من المال في السنة الأخيرة .

- هل رأيت "جاكسون" بعد أن ..؟

- كلا.. إنني لم أراه بعد رحلتنا إلى تلك الجزيرة؛ لأنه ترك خدمة السيد "رافيل" عقب عودته إلى "إنجلترا"، وأعتقد أنه التحق بالعمل مع أحد اللوردات في "جبرسي" أو "جبرنسي".

- كم كنت أود أن أرى السيد "رافيل" مرة أخرى.. لقد بدا لي عجبياً بعد عودتي إلى "إنجلترا" .. وبعد زماتي للسيد "رافيل" في تلك الأحداث التي مرت بنا في الجزيرة إنني أكاد لا أعرف عنه شيئاً.. وعندما قرأت نبأ وفاته وددت لو أنني استطعت أن أعرف المزيد عنه.. أين ولد.. وأين أسرته.. وهل له أقارب أو أولاد..؟

فابتسمت "إستر" ونظرت إلى الأنسة "ماربل" كمن يريد أن يقول: نعم.. أنا واثقة بانك تريد أن تعرفي كل شيء عن كل إنسان تقابلينه..

ثم قالت بصوت مرتفع:

- الواقع أنه كان هناك أمر واحد يعرفه الجميع عنه.

- هو أنه كان واسع الثراء.. اليس كذلك..؟ عندما يعلم الإنسان عن شخص أنه غني جداً، فإنه لا يسأل عن شيء آخر.

فضحكت "إستر"، وقالت الأنسة "ماربل":

- أظن أنه لم يتزوج.. لأنه لم يتحدث قط عن زوجته

- إنه فقد زوجته منذ وقت طويل.. وأعتقد أنها كانت أصغر منه سنًا وأنها ماتت بالسرطان.

- هل رزق بأولاد..؟

- نعم.. ابنتان وولد.. وقد تزوجت إحدى الابنتين وهي تقسيم الآن في "أمريكا" .. أما الثانية فإنها توفيت وهي صغيرة.. وقد قابلت الابنة الأمريكية مرة.. ووجدت أنها تختلف كثيراً عن أبيها.. فهي تبدو هادئة، حزينة، أما الابن فإن السيد "رافيل" لم يتحدث عنه قط، وأظن أنه وقع في ورطة ما، أو أثار فضيحة، أو شيئاً من هذا القبيل، وأعتقد أنه مات منذ بضعة أعوام.. ومهما يكن فإن أباه لم يتحدث عنه قط.

- هذا أمر يبعث على الأسف حقاً.

- أظن أن ذلك حدث منذ سنوات عديدة.. وأن الابن ذهب في رحلة أو سافر إلى الخارج.. ولم يعد.

- وهل أثار ذلك قلق السيد "رافيل" أو حزنه..؟

- لم يكن في استطاعة أحد أن يعرف ما يدور بخلده أو ما يعتمل في نفسه.. كان من ذلك الطراز الذي يعرف كيف يلقي خسائره وهمومه وراء ظهره، فإذا وجد مثلاً أن ابنه أصبح نقمة لا نعمة.. هز كتفيه وأسقطه تماماً من حسابه.. قد يفعل ما يقتضيه الواجب، كان يرسل إليه بعض النقود، على سبيل المساعدة، ولكنه لا يفكر في أمره بعد ذلك.

- ألم يذكره قط في أحاديثه..؟

- لا شك في أنك تذكرين عنه أنه لم يكن الرجل الذي يفصح عن شعوره، أو يتحدث عن حياته الخاصة.

- نعم.. نعم.. ولكنني ظننت أنه ربما أسر إليك بمشاعبه بصفتك سكرتيرته الخاصة طوال عدة أعوام.

- لو كانت لديه متاعب، وذلك ما أرتاب فيه، فإنه لم يكن الرجل الذي يفضي بمشاعبه لكائن من كان.

لم يكن يهمه سوى عمله .. فعمله هو ابنه وابنته وأسرتهم جميعاً .. ولم تكن له متعة في الحياة سوى جمع المال وعقد الصفقات ..

- هل أفهم من ذلك أنه لم تصادفه أية متاعب قبل موته ..؟

- لا أعتقد أنه كانت هناك أية متاعب .. ثم إنني تخلّيت عن عملي معه قبل النهاية ..

- لا شك في أنه تضايق كثيراً لفقدك .

- لا أظن ذلك .. لم تكن هذه الأمور لتضايق رجلاً مثله .. إنه يبحث فوراً عن سكرتيره أخرى . فإذا لم تلائمه، فنحها قبضة من المال وبحث عن أخرى .. إلى أن يجد ضالته .. كان متزناً العقل دائماً ..

- نعم .. نعم .. ولكنه كان يفقد أعصابه بسهولة .

- كان يجد متعة في ذلك .

- هل كان له اهتمام خاص بعالم الجريمة ..؟ أعني بدراسة الجريمة وحوافرها .

فقلت "إستر" بحدة :

- هل تقولين ذلك بسبب ما حدث في تلك الجزيرة؟

- كلا .. إنما أعني ربما عجب للعوامل النفسية التي تدفع إلى الجريمة .. أو كان له اهتمام خاص بالقضايا التي ضل فيها القضاء طريق العدالة أو ..

فقاطعتها "إستر" قائلة :

- ولماذا يهتم بهذه الأمور ..؟ ثم أرجوك ألا تعودني إلى ذكر تلك الأحداث المزعجة التي وقعت في "سان أونوريه" .

- أنا آسفة .. كل ما في الأمر أنني تذكرت بعض عبارات قالها السيد "رافيل" فظننت أن له نظرية خاصة عن أسباب الجرائم ..

- لقد كانت كل اهتمامات السيد "رافيل" تتركز في المسائل المالية فحسب .

وكانت لا تزال تنظر ببرود إلى الأنسة "ماربل" فقالت هذه معذرة :

- يؤسفني أنني آثرت ذكريات قديمة مؤلمة .

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة :

- أظن أنني يجب أن أنصرف الآن لكي ألحق بالقطار .

وحملت حقيبتها ومظلتها وتجهيزات للانصراف، فالتحت عليها "إستر" في البقاء لتتناول معها قدحاً من الشاي . ولكنها أجابت :

- شكراً لك أيتها العزيزة .. إن وقتي لا يسمح . أرجو أن تنقبلي تهنئتي وأخلص تمنياتي لك بحياة زوجية سعيدة . أظن أنك لا تفكرين في الالتحاق بعمل جديد ..؟

- الواقع أن بعض الناس يضيقون بالبطالة، ولكني لست منهم .. إنني أريد الاستمتاع بالثروة التي تركها لي السيد "رافيل" ..

وانصرفت الأنسة "ماربل" وهي تقول لنفسها :

- كنت أظن أن لها صلة بالموضوع الذي أثاره السيد "رافيل"، أو أنها تعرف شيئاً عنه . ولكن يبدو أنني كنت مخطئة ..

والآن .. ماذا ستكون خطوتي التالية ..؟



ووجدت لزاماً عليها أن تفكر في موقفها ملياً ..

لقد عرضت عليها مهمة لا تعرف عنها شيئاً .. وتركت لها حرية قبولها أو رفضها .. فهل يجب أن تبحث بنفسها عن ماهية هذه المهمة أو تنتظر حتى تتلقى من التعليمات ما يرشدها إليها ..؟

لماذا اختارها السيد "رافيل" دون غيرها لهذه المهمة ..؟ هل لأن لها مواهب خاصة تتميز بها في ناحية ما ..؟ وراحت تقيم نفسها في كثير من التواضع .. كانت كل مميزاتا تتلخص في أنها شديدة الفضول، كثيرة الأسئلة .. فهل اختارها لذلك ..؟



وأضناها التفكير، فهزت كتفها وقالت بصوت مرتفع :

- الحق أنك رجل متعب يا سيد "رافيل" .. لقد فعلت كل ما أستطيع في حدود قدراتي .. ويجب الآن أن أترك الأمر لك .

الفصل الخامس

تعليمات من العالم الآخر

- 1 -

بعد ثلاثة أيام تسلمت الأنسة "ماريل" رسالة، ففحصتها ونظرت إلى الخط الذي كتب به الغلاف، وإلى طابع البريد، وأيقنت أنها لا تتضمن فاتورة من الفواتير المألوفة، وفضتها ووجدت الخطاب التالي مكتوباً على الآلة الكاتبة:

عزيزتي الأنسة "ماريل":

عندما تتسلمين هذه الرسالة أكون قد مت ودفنت، ولا أقول أحرقته ووضع رمادي في قنينة، فإنني لا أستطيع أن أتصور كيف يمكن للإنسان أن يخرج من قنينة صغيرة مليئة بالرماد لكي يتردد على من يردد عليهم. بينما فكرة الخروج من القبر ممكنة تماماً. هل سأرغب في الخروج؟ ربما.. بل ربما أرغب كذلك في الاتصال بك.

والآن لا بد أن يكون محامي قد اتصل بك وعرض عليك اقتراحاً معيناً أرجو أن تكوني قد قبلته. أما إذا كنت قد رفضته فذلك شأنك ولن أشعر بالندم أو الأسف. وإذا قام محامي وإدارة البريد بما ينتظر منهما فإن هذه الرسالة يجب أن تصلك في اليوم الحادي عشر من الشهر، وبعد يومين ستصلك رسالة من أحد مكاتب السياحة في "لندن"، متضمنة عرضاً أرجو أن يصيب هوى في نفسك.

لن أقول أكثر من ذلك، ولكنني أريدك أن تواجهي الأمور بعقل مفتوح. وأن تحرصي على نفسك.

أرجو لك حظاً سعيداً، كما أرجو أن يلازمك ملاكك الحارس؛ لأنك ستكونين بحاجة إليه..

المخلص

"ج. رافيل"

وقضت الأنسة "ماريل" يومين وهي على أحر من الجمر، إلى أن جاءتها الرسالة التالية من جمعية (القصور والحدائق المشهورة في "إنجلترا"):

عزيزتي الأنسة "ماريل":

تنفيذاً لتعليمات المرحوم السيد "رافيل"، نرسل إليك رفق هذا تفصيلات الرحلة السابعة والثلاثين لجمعية (القصور والحدائق المشهورة في "إنجلترا") التي تبدأ من "لندن" يوم الخميس الموافق 17 الجاري.

فإذا أمكنك الحضور إلى مكتبنا في "لندن"، فإن السيدة "ساندبورن" - سكرتيرة الجمعية التي ستشرف على الرحلة - سوف يسرها أن توضح لك التفصيلات ونجيب عن كل ما يعين لك من أسئلة.

ستستغرق الرحلة بين أسبوعين وثلاثة أسابيع، ويعتقد السيد "رافيل" أنك سترحبين بها؛ لأنها سوف تشمل منطقة من "إنجلترا" يظن "رافيل" أنك لم تزوريها من قبل، وقد طلب أن نهسي لك في هذه الرحلة أقصى ما نستطيع من أسباب المتعة والراحة.

فهلا تفضلت بإخطارنا عن الموعد الذي يلائمك لزيارة مكتبنا بشارع "بركلي"؟ وطوت الأنسة "ماريل" الرسالة ووضعتها في حقيبتها، ثم أجرت بعض الاتصالات التليفونية بصديقات لها تعتقد أنهن اشتركن في رحلات سابقة للجمعية، ولما لم تسمع منهن سوى الشناء على هذه الرحلات، ودقة تنظيمها، اتصلت بمكتب الجمعية تليفونياً وقالت للسكرتيرة إنها ستزور المكتب يوم الثلاثاء.

وفي اليوم التالي تحدثت الأنسة "ماريل" إلى وصيفتها في الموضوع. قالت:

- إنني سأذهب في رحلة يا "شيري".

فهمت "شيري":

- رحلة..؟ هل تعنين رحلة إلى الخارج..؟

- كلا.. إنها رحلة داخلية لزيارة القصور التاريخية والحدائق المشهورة.

- هل تظنين أن ذلك يلائم سنك..؟ هذه الرحلات قد تكون متعبة وشاقة.. إذ

يتعين عليك في بعض الاحيان أن تسيري مسافات طويلة .
 - إن صحتي جيدة .. ثم إنني علمت أنهم جعلوا لكبار السن فرصة للراحة .
 - كل ما أستطيع أن أقوله لك هو أن تعني بنفسك، فلسنا نريدك أن تصابي
 بازمة قلبية، أو أن تسقطي في حوض إحدى النافورات ..
 - اطمئني يا "شيري" فسوف أعني بنفسي .
 وأعدت الآنسة "ماريل" حقيبتها، وذهبت إلى "لندن"، حيث حجزت غرفة في
 فندق متواضع، ثم قصدت إلى مكتب الجمعية في الموعد المحدد، وهناك استقبلتها
 سيدة لطيفة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها . قالت إن اسمها السيدة
 "ساندهورن" وإنها ستشرف على الرحلة .
 فقالت الآنسة "ماريل":
 - هل أفهم أن رحلتي ..
 وترددت، وأحست السيدة "ساندهورن" بحرجها فقالت:
 - آه .. كان يجب أن أوضح ذلك في رسالتنا إليك، نعم .. لقد دفع السيد
 "رافيل" كافة نفقات رحلتك .
 - هل تعلمين أنه توفي؟
 - نعم .. ولكنه دبر أمر الرحلة قبل وفاته .. قال إنه مريض، ولكنه أراد أن يهيئ
 هذه الرحلة لصديقة عزيزة لم تتح لها فرصة للاستمتاع بمثل هذه الرحلات .

بعد يومين، حملت الآنسة "ماريل" حقيبتها واحتلت مكانها في الحافلة الفخمة
 التي ما لبثت أن شقت طريقها إلى خارج "لندن" ..
 وراحت الآنسة "ماريل" تتصفح الكتيب الذي وزع على أعضاء الرحلة ويتضمن
 أسماء المسافرين والبرامج اليومية والبيانات الخاصة بالفنادق والأطعمة .. والقصور
 والحدائق التي تشملها الرحلة، والأماكن البديلة التي يستطيع ارتيادها أو التماس
 الراحة فيها أولئك الذين يتخلفون عن إحدى الزيارات بسبب التعب أو الضعف أو

الذين يؤثرون الجلوس على السير الشاق وارتقاء التلال ..
 صفوة القول، إن الرحلة نظمت بدقة ولباقة على نحو يلائم الجميع . وقرأت
 الآنسة "ماريل" أسماء الركاب وراحت تتأملهم، ولاحظت أنهم يتأملون بعضهم
 بعضاً .. ولكن ليس بينهم من يعيرها اهتماماً خاصاً .

قرأت في قائمة الأسماء:

السيدة "بورتو"

الآنسة "جوانا كروفورد"

الكولونيل "ووكو" وزوجته .

الآنسة "إليزابيث تمبل"

الاستاذ "وانستيد"

السيد "ريتشارد جيمسون"

الآنسة "لوملي"

الآنسة "بنتهام"

السيد "كاسبار"

الآنسة "كوك"

الآنسة "باروا"

الآنسة "جين ماريل"

كان بين الركاب أربع سيدات عجائز، منهن اثنتان تسافران معاً وكلتاها في نحو
 السبعين من العمر، من النوع الذي لا يكف عن التبرم والشكوى، فإذا أجلست في
 مقدمة السيارة طالبت بالجلوس في المؤخرة .. وإذا أجلست في مكان ظليل طلبت
 الجلوس في مكان مشمس .

كان مجموع عدد الركاب فيما عداها هي والسيدة "ساندهورن" خمسة عشر
 راكباً .. ولما كانت قد أرسلت في هذه الرحلة بالذات فلا بد أن يكون لواحد على
 الأقل من هؤلاء الركاب أهمية خاصة . إما كمصدر للمعلومات أو لصلة بالقانون أو
 بإحدى القضايا .. أو لأنه مجرم ارتكب جريمة قتل أو يتأهب لارتكاب جريمة قتل .

كل شيء ممكن مع السيد "رافيل" ..
ومهما يكن من أمر فإنها يجب أن تسجل ملاحظاتها على هؤلاء الناس، فقد يكون بينهم من يستحق الاهتمام من وجهة نظر السيد "رافيل"، أو من لديه معلومات تفيدها أو تفيد السيد "رافيل" أو تفيد العدالة .. سواء أكان يعلم ذلك أو يجمله ..

ونظرت الآنسة "ماريل" إلى العجوزين الآخرين .. كانتا في نحو الستين. وإحداهما أنيقة تبدو من سيدات المجتمع .. وتتكلم بصوت مرتفع وبلهجة الأمر، وترافقها فتاة في نحو الثامنة عشرة من عمرها تدعوها العمه "جيمر الدين".
ورأت الآنسة "ماريل" في المقعد الذي إلى يمينها رجلاً ضخماً الجسم، عريض الكتفين بارز الفكين .. كثر الحاجبين .. يجلس بجوار رجل كثير الحركة، جم النشاط، يتكلم الإنجليزية بلكنة أجنبية، ويبدو ملاحظاته أحياناً بالفرنسية والألمانية.

ونظرت الآنسة "ماريل" إلى الرجلين ملياً وقررت أن أولهما لا بد أن يكون الأستاذ "وانستيد" وأن الثاني هو السيد "كاسبار" وتساءلت: ترى في أي موضوع يتحدثان بهذه الحماسة؟

وأمام هذين الرجلين كانت تجلس سيدة تناهز الستين أو لعلها تجاوزتها .. ولكنها تحتفظ بمسحة من جمال رصين .. وتتميز بجبين مرتفع وصوت هادئ واضح النبرات.

قالت الآنسة "ماريل" لنفسها:

- لا شك في أنها شخصية لها مركزها .. إنها تذكرني بعميدة إحدى كليات "أكسفورد".

ومضت الآنسة "ماريل" في تقييم الركاب.

كان هناك رجل أمريكي دمث الخلق ومعه زوجته الثرثرة، ورجل إنجليزي في نحو الخمسين يبدو أنه ضابط متقاعد، فلم تتردد الآنسة "ماريل" في أن تختار لهما من بين الأسماء الواردة في القائمة اسم الكولونيل "ووكو" وزوجته.

وفي المقعد الذي وراءها كان يجلس رجل طويل نحيف يناهز الثلاثين، تدل الفاظه الفنية على أنه مهندس.

وفي المقاعد الأمامية، كانت تجلس امرأتان متوسطتا العمر تسافران معاً، إحداهما سمراء نحيفة، والثانية شقراء مليئة الجسم، خيل إلى الآنسة "ماريل" أنها رأتهما من قبل ولكنها لم تعرف متى وأين .. ربما في حفلة كوكتيل أو في أحد القطارات .. بقي بعد ذلك مسافراً واحداً يجب عليها تقييمه.

كان شاباً في التاسعة عشرة أو العشرين من عمره، يرتدي الزي المناسب لامثاله. ويطلق شعره على سجيته. وقد لاحظت الآنسة "ماريل" أنه يبدي اهتماماً بالفتاة التي ترافق العمه "جيمر الدين"، وأن الفتاة تبادلته نفس الاهتمام.

تناول المسافرون طعام الغداء في فندق جميل يطل على النهر، وقضوا الساعات التالية في زيارة معالم مدينة "بلنهام". وعندما وصلوا إلى الفندق الذي سيقضون فيه ليلتهم، كان كل منهم قد عرف الآخر، وتوثقت بين الجميع أواصر الألفة.

وقد لعبت السيدة "ساندبورن" دوراً مهماً في هذا السبيل.

كانت نشيطة إلى أبعد حدود النشاط، لبقة في تقريب المسافرين بعضهم إلى بعض، فإذا رأت أحدهم يجلس وحيداً قالت له بصوتها الرقيق:

- لماذا لا تدع الكولونيل يصف لك حديثه ..؟ إن لديه مجموعة من الزهور لا مثيل لها.

واستطاعت الآنسة "ماريل" خلال ذلك أن تعرف أسماء المسافرين ..

فالرجل ذو الحاجبين الكثيفين هو الأستاذ "وانستيد" .. وزميله الذي يتكلم الإنجليزية هو السيد "كاسبار".

تماماً كما توقعت ..

والعمه "جيمر الدين" الأنيقة هي السيدة "بورتر" ..

والفتاة التي ترافقها هي "جوانا كروفورد" ابنة أخيها ..

أما الشاب ذو الشعر المشوش فهو "أملين برايس" ويبدو أن آراءه التقت مع آراء "جوانا" في كثير من الأمور، كحب الفن والأدب، والنفور من السياسة والاقتصاد

وما إليها.

بينما لاذت العجوزان اللتان تسافران معاً بالآنسة "ماربل". وراحتا تبادلانها الحديث عن الروماتيزم والأطباء والعقاقير. وفهمت الآنسة "ماربل" أنهما قامتتا برحلات كثيرة في "أوربا". وأنهما تدعيان الآنسة "لوملي" والآنسة "بنتهام". وتقيمان في "سومرست" وتجدان صعوبة في العثور على بستاني ماهر.

أما السيدتان متوسطتا العمر اللتان تسافران معاً فهما الآنسة "كوك" والآنسة "بارو". وكانت الآنسة "ماربل" على يقين من أنها سبق أن رأت أولاهما، ولكنها لم تذكر قط متى أو أين. وقد خيل إليها أنهما يتجنبانها. وأنهما تسارعان إلى الابتعاد كلما اقتربت منهما. خمسة عشر شخصاً، أحدهم على الأقل له أهميته. وفي المساء تعمدت الآنسة "ماربل" أن تذكر اسم السيد "رافيل" في حديثها؛ لترى وقعه في نفوسهم، ولكنها لم تلاحظ شيئاً.

وعلمت الآنسة "ماربل" أن السيدة الجميلة الأنيقة ذات الشخصية الواضحة هي الآنسة "إليزابيث تمبل". وأنها كانت تعمل ناظرة لإحدى مدارس البنات المشهورة ثم تقاعدت. وأن المهندس النحيل الجسم هو "ريتشارد جيمسون". وخيل إلى الآنسة "ماربل" أنه لا يوجد بين المسافرين من يمكن أن يكون قاتلاً سوى "كاسبار". ولكن لعل سبب ريبتهما فيه أنه أجنبي.

- 3 -

أوت الآنسة "ماربل" إلى فراشها وهي متعبة منهوكة القوى.

كانت الرحلة ممتعة، ولكن محاولة تقييم خمسة أو ستة عشر راكباً لمعرفة ما إذا كان لأحدهم صلة بجريمة قتل أتعبتها وأنهكت قواها.

وقبل أن تنام.. ألقت نظرة أخرى على أسماء المسافرين.

السيدة "بورتر".؟ إنها سيدة مجتمع شديدة الاعتزاز بنفسها ومركزها، ولا يمكن أن تقدم على ارتكاب جريمة.

"جوانا كروفورد".؟ مثل عمته.

الآنسة "إليزابيث تمبل".؟ إنها شخصية محترمة تشع نزاهة ونبلا.. إذا حدثت وارتكبت جريمة.. فإنها ترتكبها خدمة لغرض اجتماعي أو هدف من أسمى الأهداف.. ولكن لا.. إنها سيدة متزنة العقل والتفكير.. تعرف دائماً ماذا تفعل.. ولماذا تفعله.. ولا يمكن أن يغريها هدف مهما بلغ نبيله إلى التورط في الإثم.

ومع ذلك.. فإنها ربما تكون الشخص الذي أراد "رافيل" أن أقبله في هذه الرحلة لسبب ما.. وعادت إلى استعراض المسافرين.

- الأستاذ "وانستيد".؟ ترى هل هو عالم أم طبيب؟ إنها شخصياً لا تعرف شيئاً عن العلم أو الطب، ولكن يبدو على الرجل أنه إنسان طيب القلب.

- السيد "ووكر" وزوجته..؟ إنهما أمريكيان. وليست لهما صلة بأحد تعرفه.

- الآنسة "كوك" والآنسة "بارو".؟ امرأتان عاديتان.. ولكنها واثقة بانها رأت أولاهما في مكان ما..

الكولونيل "ووكر" وزوجته..؟ إنهما شخصان ظريفان ويبدو أن الرجل أمضى مدة خدمته في الخارج. وأكبر الظن أنهما فوق الشبهات.

الآنسة "بنتهام" والآنسة "لوملي".؟ إنهما من أبعد الناس عن الجرائم.. وإذا كانت لديهما معلومات فهي عن الروماتيزم وتصلب الشرايين.

السيد "كاسبار".؟ إنه رجل سريع الانفعال وربما كان خطراً، ولذا يحسن وضعه تحت الرقابة.

"أملين برايس".؟ يبدو أنه طالب.. ومن أبرز صفات الطلبة هذه الأيام العنف، ولكن هل يمكن أن يكون السيد "رافيل" قد أرادها أن تتعقب طالباً..؟ إن ذلك يتوقف على ما فعله الطالب أو ما يريد أن يفعله.. أو ما سوف يفعله.. آه.. يا إلهي.. إنني تعبت.

وغلبيها النعاس فنامت، ورات - فيما يرى النائم - أن حاجبي الأستاذ "وانستيد" الكثرين قد سقطا.. واستيقظت على الأثر، وخيل إليها أن هذا الحلم قد

حل اللغز، وأن "وانستيد" لابد أن يكون هو القاتل الذي يريدنا "رافيل" أن نتعقبه .

ولكنها ما لبثت أن اعترفت بينها وبين نفسها بأن سقوط حاجبي "وانستيد" لم يحل شيئاً .

وجفا النوم عينيها فاعتدلت جالسة في فراشها، وتناولت دفتر مذكراتها وكتبت ما يلي :

من المحقق أن المهمة التي أسندت إليّ تتعلق بجريمة ما .. فقد قال السيد "رافيل" ذلك صراحة في رسالته .. قال إن لي حاسة سادسة فيما يتعلق بالعدالة .. وذلك يستتبع بالضرورة أن تكون لي حاسة سادسة فيما يتعلق بالجريمة .

إذن فهناك جريمة .. وواضح أنها ليست جريمة تجسس، أو سرقة أو تزوير .. فهذه ألوان من الجريمة لم تمر بي، ولا دراية لي بها .

إن السيد "رافيل" لا يعرف عني سوى ما عرفه خلال إقامتنا في جزيرة "سان أونوريه" .. فقد جمعت بيننا هناك جريمة قتل، ولا بد أنه لاحظ وقتئذ مبلغ ولعمري بإمارة اللثام عن جرائم القتل التي تقع في المنطقة التي أقيم بها ..

وأعتقد أن الوقت قد حان لتحليل المهمة التي أخذتها على عاتقي تحليلاً منطقياً ..

إن التعليمات التي وصلتني حتى الآن لا تكاد تذكر، ولذلك يجب أن أسال نفسي سؤالاً صريحاً :

- ما مهمتي .. ؟

الجواب :

- لا اعلم .

ولما كان من الغريب حقاً أن يسند إليّ السيد "رافيل" - وهو من رجال المال والأعمال الناجحين - مهمة مجهولة لا أعرف عنها شيئاً .. فيجب إذن أن أفهم أنه لا يريد مني سوى أن أعتمد على مواهبي وقوة ملاحظتي في تنفيذ التعليمات التي يصدرها لي صراحة أو تلميحاً .

ومعنى ذلك أن هناك تعليمات سوف أتلقاها ..

أما المهمة ذاتها فإنها خاصة بالعدالة .. إما لتصحيح خطأ من أخطاء العدالة، وإما الانتقام من مجرم بتقديمه إلى العدالة .

وذلك يتفق مع كلمة السر (عدالة السماء) .. التي ذكرها السيد "رافيل" في رسالته .

- ولقد دبر السيد "رافيل" قبل وفاته موضوع اشتراكي في الرحلة رقم 37 من رحلات (جمعية القصور التاريخية والحدائق المشهورة) ..

- لماذا .. ؟

- ذلك ما يجب أن أتساءل عنه ..

- ترى هل لمهمتي صلة بإحدى الحدائق أو أحد القصور التي سنزورها خلال الرحلة .. ؟

- لا أعتقد ذلك ..

- إذن فليس المهم هو القصور والحدائق .. إنما المهم هم الناس الذين يشتركون في الرحلة ..

وليس بين هؤلاء الناس من أعرفه شخصياً .. ولكن لابد أن بينهم واحداً على الأقل له صلة بجريمة قتل، أو بشخص كان ضحية في جريمة قتل .. أو ربما كان هو نفسه قاتلاً ..

وهنا كفت الآنسة "ماربل" عن الكتابة فجأة .. وهزت رأسها مراراً تعبيراً عن ضائحتها عن هذا التحليل .

الفصل السادس

حسب

في اليوم التالي زاروا قصرًا يرجع تاريخه إلى عهد الملكة "آن" . ولم تكن الرحلة طويلة أو متعبة . وكان القصر جميلاً وله تاريخ شائق .

وقد أعجب "ريتشارد جيمسون" - المهندس - بما رأى، ولما كان من الشباب الذين يلتذون بسماع أصواتهم، فقد راح ينتقل بين الغرف ببطء شديد، ويتحدث عن المواعد والأعمدة والنقوش وإلقاء حديث خبير عليم .. ويقرن كلامه بذكر التواريخ والمراجع ..

وأصغى إليه البعض باهتمام في البداية، ثم استولى عليهم الملل فأخذوا ينفضون من حوله الواحد تلو الآخر .. وكان أشد الجميع تهرماً هو مرشد القصر الذي ضايقه أن يغتصب المهندس الشاب اختصاصاته، ويستأثر بشرح معالم القصر، فحاول أن يمسك بزمام الموقف ولكن المهندس لم يمكنه من ذلك، وفي النهاية قام المرشد بمحاولة أخيرة فقال:

- هذه الغرفة سيداتي وسادتي هي الغرفة البيضاء، وقد وجدت بها جثة شاب مطعون بخنجر. حدث ذلك في بداية القرن السابع عشر، وقيل إن السيدة "موفات" سيدة القصر كان لها عشيق تعود أن يدخل القصر من باب جانبي صغير، ثم يرقى السلم ويتسلل إلى هذه الغرفة من باب سرى بجوار المدفأة .. وذلك في غياب الزوج، السيد "ريتشارد موفات" الذي كان وقتئذ في زيارة لـ "هولندا" .. وقيل إن السيد "موفات" عاد يوماً فجأة، وضبط العاشقين في حالة تلبس ..

وكف المرشد عن الكلام، ونظر حوله .. وسره أن يرى اهتمام الموجودين وارتياحهم إلى حديثه بعد أن سئمو المعلومات الفنية والهندسية التي أكرهوا على سماعها.

وهتفت السيدة "بتلو" بلهجتها الأمريكية:

- يا لها من قصة ظريفة!

واشدت اللغظ وكشرت التعقيبات على القصة فانتهزت الأنسة "ماريل" وبعض السيدات الفرصة وتسللن إلى الخارج وهبطن الدرج إلى الطابق الأرضي.

وقالت الأنسة "ماريل" تحدث الأنسة "كوك" والأنسة "بارو"، وكانتا تسييران بجانبها:

- لقد تعرضت إحدى صديقتي ذات يوم لتجربة تمزق الأعصاب. إذ دخلت قاعة المكتبة في صباح أحد الأيام فوجدت بها جثة.

فقالت الأنسة "بارو":

- جثة شخص من أفراد الأسرة ..؟ لا شك في أنه أصيب بأزمة قلبية ..

- كلا .. كانت جريمة قتل .. وكانت الجثة لفتاة غريبة ترتدي ثياب السهرة .. فتاة جميلة شقراء ولكن كان من الواضح أن شعرها مصبوغ .. وقد ظهر أن .. وكفت عن الكلام ثم نظرت إلى الأنسة "كوك"، وتعلقت عينها بخصلة من الشعر الأشقر تتدلى من تحت المنديل الذي تعصب به رأسها ..

وتذكرت فجأة .. وعرفت لماذا بدا وجه الأنسة "كوك" مالوفاً ولماذا أحست بانها قد رآته من قبل ..

لقد كان شعر الأنسة "كوك" بنيّاً داكناً .. أما الآن فإنه شعر أشقر في لون سنابل الحنطة ..

وفي هذه اللحظة .. لحقت بهن السيدة "بورتر" بعد أن هبطت درج السلم وقالت بحدة:

- الحق أنني لم أعد أستطيع الصعود والهبوط أكثر مما فعلت، ثم إن الانتظار في الغرف متعب للغاية .. أعتقد أن حديقة القصر وإن تكن صغيرة إلا أنها مشهورة في دوائر فلاحه البساتين، فهلموا بنا إليها ..

قالت ذلك بلهجتها الحاسمة المألوفة. وكانت النتيجة أن جميع الذين سمعوها .. خرجوا في أثرها إلى الحديقة.

جلست السيدة "بورتر" على مقعد بجوار الكولونيل "ووكو" .. بينما وقع اختيار الأنسة "ماريل" على أقرب مقعد، فتهاكت فيه وهي تنهت بارتياح .. وما لبثت أن سمعت تنهيدة ماثلة صادرة من "إليزابيث تمبل" التي تبعتها وجلست بجوارها.

قالت هذه الأخيرة:

- إن تفقد هذه القصور أمر متعب ومثير للملل، خاصة حين يضطر الإنسان إلى

- الإصغاء إلى محاضرة لا نهاية لها في كل غرفة.
فقالَت الأَنسة "ماربل" في شيء من السخرية:
- هذا صحيح.. إن جميع المحاضرات التي سمعناها اليوم كانت غاية في الطرافة.
- أنتظنين ذلك...?
واستدارت الأَنسة "ماربل"، وتلاقت عيون المرأتين، في نظرة يمتزج فيها المرح
بالتفاهم المتبادل. وقالت الأَنسة "ماربل":
- أنتظنيه أنت...?
- كلا.
وهنا توثق التفاهم التام بينهما، وساد الصمت بينهما لحظة، ثم بدأت "إليزابيث
تمبل" تتحدث عن الحداثق.. وعن حديقة ذلك القصر بصفة خاصة قالت:
- لقد قام "هولمان" بتنسيقها بين عامي 1798 و1800 ومات وهو في شرح
شبابه. وذلك أمر يؤسف له حقاً.. فقد كان عبقرياً فذاً.
- من المحزن حقاً أن يموت الإنسان وهو في عنفوان شبابه.
- ربما.
- إن الذي يموت صغيراً تفوته أشياء كثيرة.
- إنتي- بعد أن بلغت هذه السن - لا أتمالك من الإحساس بأن الموت المبكر
يعني ضياع الكثير من متع الحياة.
- وأنا التي قضيت حياتي كلها تقريباً بين الشباب انظر إلى الحياة طالت أو
قصرت كوحدة زمنية كاملة..
فقالَت الأَنسة "ماربل":
- فهمت.. تعنين أن الحياة مهما كان طولها هي تجربة كاملة.. ولكن الا
تشعرين بأن الحياة قد تبدو ناقصة إذا انتهت في وقت مبكر?
- هذا صحيح..
فنظرت الأَنسة "ماربل" إلى بعض الزهور القريبة منها وغمغمت قائلة بلهجة
الإعجاب:

- ما أجملها!
فتحولت إليها "إليزابيث تمبل" وقالت:
- هل قمت بهذه الرحلة لرؤية القصور أو رؤية الحداثق...?
- اظن أنني قمت بها لرؤية القصور.. إن ذلك لا يمنني من الاستمتاع
بالحداثق.. ولكن زيارة القصور بأشكالها المتباينة وأثاثها القديم ولوحاتها الثمينة
هي تجربة جديدة بالنسبة إلي.
ثم استطرقت قائلة بعد صمت قصير:
- قد هيا لي هذه الرحلة صديق كريم. وأنا شاكرة له.. هل تعودت أنت الاشتراك
في مثل هذه الرحلات الترفيهية...?
- كلا.. وهذه الرحلة ليست بالنسبة إلي رحلة ترفيهية.
فحدثت الأَنسة "ماربل" إلى وجهها.. وهمت بأن تلقي سؤالاً ثم أمسكت.
وابتسمت الأَنسة "تمبل" وقالت:
- هل تتساءلين لماذا أقوم بهذه الرحلة...? وأضافت:
- حسن.. لماذا لا تحاولين أن تخمني...?
فنظرت إليها الأَنسة "ماربل" طويلاً ثم قالت:
- إن تخميناتي لن تعتمد على ما عرفته أو سمعت به عنك من أنك شخصية
مشهورة، وأن مدرستك لها صيت ذائع.. وإنما تعتمد على ما أراه أمامي.. إنك
تبدين في نظري كشخص يقوم برحلة من أجل الحج.
فساد صمت عميق قطعته "إليزابيث تمبل" أخيراً بقولها:
- إنك أحسنت التعبير.. نعم.. إنها رحلات حج.
فقالَت الأَنسة "ماربل" بعد لحظة:
- إن الصديق الكريم الذي أرسلني في هذه الرحلة ودفع كل نفقاتها قد توفي..
كان يدعى السيد "رافيل"، وكان واسع الثراء.. فهل سمعت عنه...?
- "جيسون رافيل".. إنني أعرفه بالاسم فقط ولكنني لم أعرفه شخصياً ولم
أقابله. لقد تبرع بمبلغ كبير لمشروع ثقافي كنت أهتم به.. نعم. إنه كان غنياً كما

تقولين وقد قرأت نيا وفاته في الصحف منذ بضعة أسابيع. إذن فقد كان صديقاً قديماً لك ..؟

- كلا .. إنني قابلته منذ نحو عام فقط في إحدى جزر "الهند الغربية" ولم أعرف عنه إلا القليل .. أعني عن حياته وأسرته وأصدقائه كل ما أعرفه عنه أنه كان واسع الشراء .. وأنه - كما يقول الناس - كان شديد الانطواء على نفسه .. فهل تعرفين أسرته؟ أو أي شخص يستطيع أن ..

وتمهلت قليلاً ثم استطردت قائلة:

- لشد ما يخجلني أن أبدو فضولية ..

فصمتت "إليزابيث تمبل" نحو دقيقة ثم قالت:

- عرفت في وقت ما فتاة كانت بين تلميذاتي في مدرسة "فالوفيلد" .. لم تكن تمت بقرابة فعلية للسيد "رافيل" .. ولكنها كانت مخطوبة لابنه ..

- وهل تزوجته ..؟

- كلا

- لماذا ..؟

- ربما لأنها كانت فتاة عاقلة بعيدة النظر .. والواقع أن الشاب لم يكن من الطراز الذي يتمناه الإنسان زوجاً لفتاة يهيمه أمرها ..

كانت فتاة رائعة الجمال، وعلى جانب كبير من دماثة الخلق. ولا أعلم حقاً لماذا لم تتزوج ..

ثم تنهدت واستطردت قائلة:

- وعلى كل حال فإنها ماتت ..

- كيف ..؟

فنظرت "إليزابيث تمبل" إلى الزهور بضع لحظات وعندما تكلمت بعد ذلك لم تنطق إلا بكلمة واحدة .. بصوت كرنين الجرس:

- الحب ..؟

- إن الحب كلمة رهيبة بل لعلها من أشد الكلمات رهبة في هذه الدنيا.

الفصل السابع

دعوة

اعترفت الأنسة "ماريل" بالتعب وتخلفت عن الزيارة التي تضمنها برنامج بعد الظهر، وقررت أن تقضي وقتها في الحديقة إلى أن يحين وقت تناول الشاي. وأيدتها الأنسة "ساندبورن" في ذلك وقالت إنه عين الصواب.

جلست الأنسة "ماريل" في أحد مقاعد الحديقة وراحت تفكر في الخطوة التالية وما ينبغي أن تفعله أو لا تفعله. إلى أن عاد زملاؤها فانضمت إليهم في بهو الشاي .. وحرصت على أن تجلس إلى مائدة واحدة مع الأنسة "كوك" والأنسة "بارو" وشغل المقعد الرابع حول نفس المائدة السيد "كاسبار"، ولكن الأنسة "ماريل" لم تحفل به؛ لعدم إجادته اللغة الإنجليزية.

وبينما هم يتناولون الشاي، نظرت الأنسة "ماريل" إلى الأنسة "كوك" وقالت:

- لقد كنت واثقة بأننا تقابلنا. وعبثاً حاولت أن أتذكر متى أو أين .. إن ذاكرتي لم تعد كمعدي بها فيما يختص بوجود الأشخاص الذين أقابلهم .. ولكنني على يقين من أنني رأيتك في مكان ما.

هزت الأنسة "كوك" رأسها في ارتياب ونظرت إلى صديقتها الأنسة "بارو"، وكذلك فعلت الأنسة "ماريل"، ولكن لم تجد ما تقوله لحل هذا اللغز.

قالت الأنسة "ماريل":

- إنني أقيم في قرية "سانت ماري ميد" على بعد ثمانية عشر كيلو متراً تقريباً من "لوموث" .. وهي قرية صغيرة ولكنها أخذت الآن في الاتساع، فهناك عشرات من المباني الجديدة تقام في أطرافها .. فهل حدث لك في وقت ما أن أقمت في تلك المنطقة ..؟

فقالت الأنسة "كوك":

- دعيني أفكر .. إنني أعرف "لوموث" جيداً وربما.

وهنا ابتسمت الأنسة "ماريل" فجأة وهتفت قائلة:

- آه .. طبعاً .. الآن تذكرت .. كنت في حديقتي ذات يوم وإذا بك تتحدثين عبر السور .. قلت لي إنك تقيمين في القرية مع إحدى صديقاتك .
- طبعاً .. طبعاً .. يا لي من غبية ! .. الآن تذكرتك .. لقد دار الحديث بيننا حول صعوبة العثور على بستاني يعرف مهنته حق المعرفة .
- ويومئذ ذكرت لي اسم الصديقة التي تقيمين معها .. ماذا كان اسمها ؟ ..
- نعم .. كنت أقيم مع ..
وترددت لحظة كمن يحاول أن يتذكر .. فقالت الأنسة "ماريل" :
كانت تدعى السيدة "سندريلا" .. أليس كذلك ؟
- كلا .. كلا .. إنها كانت السيدة ..
وهنا قالت الأنسة "بارو" بثبات :
- السيدة "هاستنجز" ..
وعلى غير انتظار صاح السيد "كاسبار" :
- "هاستنجز" ..؟ إنني رأيت مدينة "هاستنجز" .. وكذلك مدينة "أيستبورن" .. إنها مدينة جميلة على شاطئ البحر .
قالت الأنسة "ماريل" :
- إنها لمصادفة عجيبة .. من كان يظن أننا سنلتقي مرة أخرى بمثل هذه السرعة ..
فقالت الأنسة "كوك" :
- لا عجب ما دمنا جميعاً من هواة الحدائق .
فقال "كاسبار" :
- إن الزهور جميلة .. وأنا أحبها ..
وهنا انطلقت الأنسة "ماريل" تتحدث عن الزهور حديثاً فنياً .. اشتركت فيه الأنسة "كوك" ، وأبدت الأنسة "بارو" بعض الملاحظات .. أما "كاسبار" فإنه غرق في لجة من الصمت .



وعندما خلت الأنسة "ماريل" إلى نفسها قبل العشاء أخذت تستعرض حصيلتها من المعلومات الجديدة .
لقد اعترفت الأنسة "كوك" بأنها كانت في "سانت ماراي ميد" .. وأنها مرت ببيتها .. وقالت إن ذلك كان مجرد مصادفة .. فهل كانت مصادفة حقاً ..؟ أم أنها ذهبت إلى هناك لغرض ما .. أو أنها أرسلت إلى هناك عمداً . ولكن لماذا ؟ ..
قالت لنفسها بصوت مرتفع :
- إن أية مصادفة يجب أن تظل موضع الاهتمام إلى أن يثبت أنها كانت مجرد مصادفة .
كانت الأنسة "كوك" والأنسة "بارو" تبدوان كإبنة صديقتين عاديتين تقومان برحلة كما اعتادتتا أن تفعلتا كل عام . فقد ذهبتا في العام السابق - على حد قولهما - إلى "هولندا" .. وذهبتا في العام الأسبق إلى "أيرلندا الشمالية" ..
وهما شابتان لطيفتان .. ولكن الأنسة "كوك" ترددت لحظة كما لو كانت تريد إنكار زيارتها للقرية ، ثم نظرت إلى صديقتها كما لو كانت تسألها الرأي فيما يجب أن تقوله .. وواضح أن الأنسة "بارو" هي صاحبة الكلمة العليا ..
وهزت الأنسة "ماريل" كتفها وقالت لنفسها :
- ربما كان كل ذلك مجرد أوهام وخيالات ... ولعلهما مجرد امرأتين ساذجتين لا أهمية لهما .



وتناولت برنامج الرحلات ..
إن رحلة اليوم التالي ستكون شاققة وستبدأ في ساعة مبكرة ، وهي تتضمن السير مسافات طويلة على شاطئ البحر .. ألا يحسن بها أن تتخلف عن هذه الرحلة أيضاً لتقضي يومها في الفندق ..؟
وفي اليوم التالي ، بينما كانت الأنسة "ماريل" في طريقها إلى قاعة الطعام بالفندق لتناول الغداء ، إذا بسيدة ترتدي ثوباً من الصوف تدنو منها وتقول لها

بصوت ينم عن توتر أعصابها:

- معذرة.. هل أنت الآنسة "ماربل" .. الآنسة "جين ماربل" ؟

فاجابت الآنسة "ماربل" في شيء من الدهشة:

- نعم.. ذلك هو اسمي.

- أنا أدعى السيدة "جلين" .. "لافينيا جلين" .. وأقيم مع شقيقتي على مقربة

من هنا.. وقد علمنا أنك ستحضرين..

- علمت أنني سأحضر.. ؟

- نعم.. فقد جاءتنا منذ نحو ثلاثة أسابيع رسالة من صديق لنا طلب إلينا فيها

أن نذكر تاريخ اليوم؛ لأنه اليوم الذي سيصل فيه أعضاء الرحلة التي نظمتها جمعية

القصور التاريخية والحدايق المشهورة وقال إن إحدى صديقاته .. أو قريباته .. لا

أذكر تماماً .. ستكون بين أعضاء الرحلة ..

وبدت الدهشة واضحة على وجه الآنسة "ماربل"، فقالت السيدة "جلين":

- الصديق الذي أعنيه هو السيد "رافيل" ..

- السيد "رافيل" .. آه؟ .. هل تعلمين أنه ..

- أنه توفي ..؟ وأعتقد أنه توفي بعد كتابة تلك الرسالة بوقت قصير.. ولكننا

أحسنا بأن علينا واجباً مقدساً هو تنفيذ جميع رغباته.

لقد قال لنا في رسالته إنك ربما ترغبين في الإقامة معنا يوماً أو يومين؛ لأن

برنامج الرحلة في هذه المرحلة شاق للغاية وقد لا يلائم المتقدمين في السن. لأنه

يتضمن السير مسافات طويلة.. وارتقاء بعض التلال والمرتفعات.. وأنا

وشقيقتي يسعدنا كثيراً أن تقيمي معنا في بيتنا الذي لا يبعد عن الفندق

سوى مسيرة بضع دقائق.

فترددت الآنسة "ماربل" لحظة.

- لقد أعجبتني السيدة "جلين" بجسمها المليء ووجها الصبيح ووجنتيها

الموردتين.. وشدة حيائها..

ثم إن هذه هي تعليمات السيد "رافيل" .. ترى هل أراد بهذه التعليمات أن

يحدد لها خطوتها التالية.. ؟

- لا بد أن يكون الأمر كذلك.

وتحولت إلى السيدة "جلين" التي كانت تنظر إليها بقلق وقالت:

- شكراً لك.. لسوف يسرني أن أقيم معكن.

الفصل الثامن

الشقيقات الثلاث

وقفت الآنسة "ماربل" أمام النافذة ونظرت إلى الحديقة بعينين لا تريان ما

أمامهما..

لم يكن مألوفاً ألا تلقي على ما ترى من حدائق نظرة رضا أو نظرة استنكار،

ولكن الحديقة التي امتدت أمامها هذه المرة كانت بقعة أرض مهملة لم يبذل فيها

جهد أو مال منذ سنوات عديدة.

كذلك كان البيت والأثاث..

جميع الدلائل تدل على أن هذا البيت الذي يطلقون عليه اسم (البيت القديم)

لم يحظ منذ وقت طويل بشيء من العناية أو الحب، رغم ما يبدو فيه من متانة

البناء وجمال التنسيق..

لقد تداولته أجيال من البنين والبنات رحلوا جميعاً وانتهى أمره أخيراً- كما

فهمت الآنسة "ماربل" من كلام السيدة "جلين" وهي ترشدها إلى الغرفة التي

خصصت لإقامتها- إلى السيدة "جلين" وشقيقتيها.. اللاتي ورثنه عن عم لهن..

وقد جاءت السيدة "جلين" للإقامة فيه مع أختيها بعد أن توفي زوجها.. ثم مرت

الأعوام وتقدمت بالشقيقات الثلاث السن، وقلَّ إيرادهن.. فعجزن عن استخدام

من يعنى بأمر البيت والحديقة.

كذلك فهمت الآنسة "ماربل" من حديث السيدة "جلين" .. أنها الأخت

الوسطى وأنها الوحيدة التي تزوجت.. أما أختها الكبرى والصغرى فقد ظلنا

عانتين .

ولم يكن في البيت أي أثر من آثار الاطفال .. لا كرة .. ولا مقعداً صغيراً .. ولا عربة اطفال .

كان البيت، بيت شقيقات ثلاث فحسب .. ولكنهن ثلاث شقيقات رقيقات مهذبات .. من الطراز الذي كانت الأنسة "ماربل" في أعماقها تصفهن بأنهن سيدات كريمات أخنى عليهن الدهر .

ولكن السيدات الكريزمات في هذه الأيام قلما تنقطع بهن الاسباب إلى حد التداعي تحت وطأة الفقر .. إنهن يتلقين المعونات من الحكومة والجمعيات وأقاربهن الأغنياء .. أو من أشخاص مثل السيد "رافيل" .

إن وجودها الآن في هذا البيت القديم يؤكد هذه الصلة بين السيد "رافيل" والشقيقات الثلاث .

لقد عرف الرجل قبل أربعة أو خمسة أسابيع - وعلى وجه التقريب - اليوم الذي سيموت فيه .. فرسم خطته بنفس الدقة التي يتوخاها في عقد صفقاته المالية .

وليس ثمة شك في أن الرجل كانت له مشكلة خاصة تضايقه وترعجه .. مشكلة لا يستطيع حلها بنفسه؛ لأنه مريض طريح الفراش .. ولا ينفع في حلها وفرة المال أو مهارة المحامين .

قالت الأنسة "ماربل" لنفسها مستطردة:

"ولهذا فكر في .."

- فكر في أن لها من الصفات ما يؤهلها لحل مشكلته .

- ولكن ما مؤهلاتها ..؟

- هواية فلاحة البساتين .. ومعالجة الجرائم التي تقع في محيطها ..

- من المؤكد أن مشكلته لم تكن مشكلة حدائق .. إنها إذن جريمة .

- ولكن أين وقعت هذه الجريمة ..؟

لقد بدأ السيد "رافيل" بتدبير الأمر مع المحامين .. وقام المحامون بما هو مطلوب

منه . وأرسلوا خطابه إليها في الوقت المناسب .. وكان الخطاب مكتوباً بعناية ..

ولكنه لم يوضح المشكلة .. ولم يحدد مهمتها ..

ثم لماذا لم يرسل الرجل في طلبها قبل موته ليحدثها عن مشكلته ..؟ ولكن لا .. إن ذلك يتعارض مع طبيعته، إنه لا يحب أن يرجو أحداً .. لقد تعود أن يأمر وأن يدفع ثمن الخدمات التي تقدم إليه .. وإذا كان قد حدد لمهمتها ذلك المبلغ الضخم .. فإنما فعل ذلك لإثارة فضولها .. لا لإغرائها، ولعله لم يذكر مشكلته بالتفصيل؛ حتى لا تتأثر بوجهة نظره فيها، فإن الإنسان لا يستطيع أن يتحدث عن أمر إلى شخص آخر، دون أن تفلت منه كلمة أو عبارة تعبر عن وجهة نظره الخاصة .. ومن المحتمل - فضلاً عن ذلك - ألا يكون السيد "رافيل" قد اطمأن إلى صواب رأيه في المشكلة . خاصة وهو مريض مرضاً ربما أشفق منه على سلامة تفكيره وحسن تقديره للأمور .. ولذلك أثر أن يترك لها الحرية لتفكر كما تشاء، وتستننتج ما تشاء ..

- والآن .. لتعد إلى جوهر الموضوع ..

- إنها الآن في البيت القديم حيث تقيم الأخوات الثلاث، "كلوتيلد" و"لافينيا" (السيدة "جلين") و"أنشيا"، وقد دبر السيد "رافيل" أمر زيارتها لهذا البيت قبل بضعة أسابيع من وفاته، ولعل ذلك كان أول إجراء اتخذته بعد أن فرغ من إصدار تعليماته إلى محاميه .

ومعنى هذا أنها أرسلت إلى هذا البيت لغرض معين، فهل للشقيقات الثلاث صلة باللغز الذي يراد منها حله؟ أو هل في هذا البيت من الآثار أو الأدلة ما يمكن أن يرشدها إلى اللغز وحله ..؟

ذلك ما كانت تفكر فيه الأنسة "ماربل" وهي تطل من نافذة غرفتها، وتنظر إلى الحديقة بعينين لا تبصران ما أمامهما .



وطرق الباب، ودخلت "لافينيا" (السيدة "جلين") وقالت:

- أرجو أن تكون الغرفة قد رافتك .. هل أساعدك في إخراج ثيابك من الحقيبة

وإعدادها...؟ هناك امرأة لطيفة تتردد علينا للمساعدة في أعمال البيت ولكنها لا تحضر إلا صباحاً.

- شكراً لك يا سيدة "جلين" .. إنني لن أخرج من ثيابي إلا ما قد احتاج إليه خلال إقامتي القصيرة هنا.

- لقد خطر لي أن أدلك على السلم، فإن البيت مترامي الأطراف وبه سلمان وكثيراً ما يضل فيه الغرباء طريقهم.

- هذا كرم منك يا سيدة "جلين".

- أرجو إذن أن تهبطي إلى الطابق الأرضي؛ لكي نتناول معاً قُدْحاً من الشراب قبل الغداء.

فوافقت الأنسة "ماربل" وتبعته مضيئتها ولاحظت وهي تسير خلفها أنها أصغر منها سنّاً بكثير.. فهي لا تتجاوز الخمسين من عمرها.

وأخذت الأنسة "ماربل" تهبط درج السلم في حذر مستعينة في ذلك بالحاجز الخشبي، ولم تتمالك من أن تهتف بإعجاب:

- إنه بيت جميل حقاً.. وأعتقد أنه بني حوالي سنة 1700، اليس كذلك...؟
- إنه بني سنة 1780.

وقادت "لافينيا" ضيفتها إلى قاعة الاستقبال وهي غرفة فسيحة، بها بضع قطع ثمينة من الأثاث تنتمي إلى عصور مختلفة.

وكانت "كلوتيلد" و"أنثيا" تنتظران هناك، فما إن أبصرتا الأنسة "ماربل" حتى خفتا لاستقبالها، فقدمت إليها إحداهما مقعداً وقدمت إليها الأخرى قُدْحاً من الشراب.

وقالت "كلوتيلد":

- هل يلائمك هذا المقعد المرتفع يا آنسة "ماربل" ..؟

- إنني أوثره على سواه.. بسبب آلام الظهر.

وكانت "كلوتيلد" - كبرى الشقيقات الثلاث - طويلة القامة، مهيبه الطلعة،

سمراء البشرة، سوداء الشعر أما الصغرى "أنثيا". فكانت نحيفة، وشعرها الأشقر

الذي وخطه الشيب يتدلى على كتفيها بلا اعتناء.

وهكذا وجدت الأنسة "ماربل" نفسها وجها لوجه أمام الشقيقات الثلاث:

"كلوتيلد" و"لافينيا" و"أنثيا" ..

كانت "كلوتيلد" وسيمة أنيقة ..

وكانت "لافينيا" بسيطة المظهر، ضاحكة السن ..

أما "أنثيا" فلها عينان رماديتان واسعتان .. وجفن يختلج بين الفينة والفينة

بحركة عصبية .. وكانت لها طريقة عجيبة في النظر يمينا ثم يساراً ثم إلى الخلف

من فوق كتفيها كما لو كانت تشعر بان هناك من يراقبها طوال الوقت ..



وتجاذب النساء الأربع أطراف الحديث، ثم انصرفت "لافينيا" إلى المطبخ، ويبدو

أنها كانت أكثر الشقيقات اهتماماً بشؤون البيت، فاستمر الحديث بدونها وتناول

قصة البيت القديم فقالت "كلوتيلد" إنه كان ملكاً لعمها، فلما توفي، انتقلت

ملكيتها إليها هي وأختها ..

واستطردت قائلة:

- كان لعمي ابن وحيد ولكنه قتل في الحرب، ونحن الآن آخر سلالة الأسرة.

فقالت الأنسة "ماربل" وهي تجمل البصر حولها:

- إنه بيت جميل، شيد بعناية ..

فقالت "كلوتيلد":

- نعم .. ولكننا نتمنى لو أنه كان أقل اتساعاً.

فقالت الأنسة "ماربل":

- الواقع أن الترميمات تتكلف كثيراً هذه الأيام.

- لقد رأينا بعض أجزاء منه تتداعى تحت أبصارنا دون أن نستطيع أن نفعل

شيئاً... وكان في الحديقة بيت كبير للزهور والفاكهة ولكنه انهيار فلم يبق منه إلا

الحطام.

فقلت "أنثيا" :

- كانت تنمو به أنواع من الأعشاب والفاكهة لا مثيل لها لشد ما أشعر بالأسف لانهيائه .. ثم جاءت الحرب فلم نستطع استخدام بستاني للعناية بالحديقة .
تهددت الاختان، تهيدة من يرى الزمن يمر .. والظروف تتغير .. ولكن ليس إلى أفضل ..

وقالت الأنسة "ماريل" لنفسها:

- إن في هذا البيت حزناً لا يمكن إزالته؛ لأنه تغلغل في الأعماق ..
ومرت بجسدها رعدة .

الفصل التاسع

الحديقة

كان طعام الغداء جيداً، وقد تناولته الأنسة "ماريل" ومضيفاتها في قاعة فسحة تزين جدرانها صور بعض أفراد الأسرة، ودار الحديث عن الرحلة، فقلت "كلوتيلد" :

- هل كان السيد "رافيل" صديقاً قديماً لك ..؟

- ليس بمعنى الكلمة .. فقد قابلته لأول مرة خلال رحلة إلى جزر "الهند الغربية" اعتقد أنه قام بها للاستشفاء .

فقلت "أنثيا" :

- هذا صحيح .. فإنه كان مشلولاً خلال السنوات الأخيرة .

فقلت الأنسة "ماريل" :

- إنني أعجبت بنشاطه وقوة مقاومته .. فقد كان يعمل طوال النهار، ولا يكف عن إملاء الرسائل وإرسال البرقيات ولم يستسلم للمرض .

فقلت "لافينيا" :

- إننا لم نره كثيراً خلال الأعوام الأخيرة ولكنه كان يذكرنا دائماً في أعياد

الميلاد .

وسالت "أنثيا" :

- هل تقيمين في "لندن" يا آنسة "ماريل"؟

- كلا .. إنني أقيم في الريف في قرية صغيرة بالقرب من "لوموث" تبعد عن "لندن" نحو أربعين متراً ..

ثم استطردت قائلة:

- أظن أن السيد "رافيل" كان يقيم في "لندن" . إنني لاحظت العنوان الذي سجله في دفتر الفندق بجزيرة "أونوريه" . وهو ميدان "أيتون" .. أو ميدان "بلجريف" .. لست أذكر تماماً .

فقلت "كلوتيلد" :

- كان له كذلك بيت في "كنت" اعتاد أن يدعو إليه أصدقاءه من رجال الأعمال .. ولكننا لم نزره هناك قط .. كنا نراه فقط كلما ذهبنا إلى "لندن" .. وكان يحتفي بنا ويكرم وفادتنا .

فقلت الأنسة "ماريل" :

- الحق أنه كان كريماً منه أن يقترح عليكين استضافتي هنا .. فما كنت أتوقع من رجل أعمال كثير المشاغل أن يتذكر أمراً كهذا ..

- إننا دعونا من قبل أصدقاء له كانوا في مثل هذه الرحلة، والواقع، أن هذه الرحلات مهما بلغ من دقة برامجها لا يمكن أن تلائم الجميع .. فالشباب مثلاً لا يضيرهم أن يسيروا مسافات طويلة، أو أن يرقوا التلال والمرتفعات، أما كبار السن الذين لا يستطيعون ذلك فإنهم يفضلون البقاء في الفنادق .. والفنادق هنا لا تتوفر فيها أسباب الراحة . أنا واثقة بأن رحلة اليوم ما كانت لتلائمك وكذلك رحلة الغد التي اعتقد أنها ستكون إلى إحدى الجزر في قارب تتقاذفه الأمواج ..

فقلت "لافينيا" :

- إن زيارة القصور ذاتها متعبة للغاية .

فقلت الأنسة "ماريل" :

- نعم .. إنها متعبة .. وأعتقد أنه ما كان ينبغي عليّ أن أشارك في مثل هذه الرحلات .. ولكن المباني القديمة والأثاث النادر واللوحات الشمسية .. كلها مغريات يتعذر مقاومتها .

كان كل شيء ممتعاً وطبيعياً .. ولكنها لسبب ما كانت تشعر بان أعصابها متوترة وبأن هناك شيئاً غير طبيعي .

وبعد الطعام رافقتها "أنثيا" في نزهة بالحديقة .. ولكنها كانت نزهة محزنة .. فكل شيء حولها يدل على أنه كانت هناك في يوم ما حديقة يانعة معنى بها، وحقل لزراعة الخضر التي يحتاج إليها البيت .

وسارت "أنثيا" بجوارها، والهواء يعبث بشعرها الطويل .. وراحت تتكلم بلهجة عصبية وعبارات مقتضية .

قالت :

- أظن أن لديك حديقة جميلة .

فاجابت الأنسة "ماربل" :

- إنها صغيرة جداً .

وسارتا في طريق مليء بالأعشاب، حتى وصلتا إلى شبه تل صغير قائم بجوار جدار السور وهنا قالت "أنثيا" بحزن :

- هوذا بيت الزهور .

- حيث كانت توجد أشجار الكروم .

- نعم .. كانت إحداها تنتج أعناباً بيضاء صغيرة شديدة الحلاوة . وأخرى تنتج أعناباً زكية الرائحة ..

- ذلك النوع الذي يطلق عليه اسم "شميري باي" .. نعم إن شذاه كالعطر ..

ولكن .. هل سقطت هنا قبيلة أطاحت ببيت الزهور .. ؟

- كلا .. لم تسقط قنابل في هذه المنطقة ولكن البيت تداعى وانهار، ولم يكن لدينا المال الكافي لترميمه أو إعادة بنائه . وحتى لو أعدنا بناءه لما استطعنا صيانته والإفادة منه؛ لعدم وجود البستاني الماهر .. انظري كيف نبت العشب بين الانقاض .

- نعم .. العشب والنباتات المتسلقة السريعة النمو إنها تتكاثر بسرعة تفيد في إخفاء المباني المتهدمة .. والمناظر الكريهة .. ولكنها إلى جانب ذلك تقتل كل ما حولها من زهر أو نبات .. هل كان بيت الزهور كبيراً .. ؟

فاجابت "أنثيا" في حزن :

- نعم .. وكان حافلاً بأشجار الخوخ ..

قالت ذلك وأشاحت بوجهها، وسارت في طريق متعرجة بمحاذاة الجدار .. وأسرعت الخطى كمن يريد الفرار من شيء مقيت، حتى عجزت الأنسة "ماربل" عن اللحاق بها ..

تري هل كانت الفتاة تشعر بالحجل مما آل إليه أمر بيت الزهور .. ؟

قالت الفتاة :

- إن لدينا حقلاً للزهور التي لا تحتاج إلى عناية بستاني متمرس .. ثم سألت

فجأة :

- هل تقومين دائماً بمثل هذه الرحلة ؟

- تعين رحلة جمعية "القصور التاريخية والحدائق المشهورة" .. ؟

- نعم .. بعض الناس يقومون بها كل عام .

- إن تكاليفها باهظة وفوق ما أطيع .. وهذه الرحلة هدية من صديق لي بمناسبة عيد ميلادي .

- كنت أتساءل عما يحملك على الاشتراك في رحلة متعبة كهذه .. ولكن ما

دمت قد تعودت السفر إلى جزر "الهند الغربية" وأمثالها ..

فقاطعتها الأنسة "ماربل" :

- وهذه أيضاً كانت منحة من ابن أخي ..

- آه ..

- لا أدري في الحق ماذا يكون من أمرنا نحن العجائز بدون الشباب .. إنهم كرام

ظرفاء . اليسوا كذلك .. ؟

- في الحق لا أعلم .. فليس لنا أقارب في سن الشباب .

- أليس لاختك "لافينيا" أولاد..؟

- كلا.. وربما كان ذلك أفضل.

فقالَت الأَنسة "ماربل" لنفسها وهي تسير مع مضيفتها في الطريق إلى البيت:
"تري ماذا تعني بذلك..؟"

الفصل العاشر

الأيام التي مضت

- 1 -

في منتصف الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي طرق باب الأَنسة "ماربل" ودخلت امرأة متقدمة في السن، تحمل صحيفة عليها إناء شاي، وقدرح، ووعاء حليب "لين" وبعض الخبز والزبد.

قالت المرأة بصوت مرح:

- طاب صباحك يا سيدتي.. لقد أعددت لك الشاي.. إنه ليوم صحو جميل..

وهانذا أرى أنك أزحت الستار عن النافذة.. هل نمت جيداً..؟

فاجابت الأَنسة "ماربل" وهي تضع جانباً كتاباً دينياً كانت تقرأه:

- نعم. شكراً.

- إن زملاءك سيفومون اليوم برحلة شاقة.. أحسنت صنعاً بعدم مرافقتهم.

- الواقع أنني سعيدة بالبقاء هنا.. وقد كان كرمًا من السيدة "جلين"

("لافينيا") واختيها أن يدعوني للإقامة معهن.

- وكان ذلك خيراً لهن أيضاً.. إن وجود ضيوف يسري عنهن؛ فالبيت كئيب

في هذه الأيام.

قالت ذلك ونظمت بعض قطع الأثاث، ووضعت زجاجة مليئة بالماء الدافئ وسط

حوض صغير على حافة المدفأة واستطردت قائلة:

- يوجد حمام في الطابق الثاني. ولكنني جئتكم بماء دافئ؛ حتى لا تتكلفني عناء

صعود السلم.

- شكراً لك.. يخيل إليّ أنك تعرفين هذا البيت جيداً.

- إنني حضرت إليه وأنا فتاة صغيرة، وعملت فيه كوصيفة.. كان هناك

وصيفتان وثلاثة خدم وطاه، وخادمة مطبخ.. ذلك في عهد الكولونيل.. كان لديه

كذلك عدد من الخيول، وسائق.. تلك أيام لن تعود.. أيام كانت السعادة فيها

ترفرف على هذا البيت، ثم جاءت الأحزان وتوالت.. فماتت زوجة الكولونيل في

ريعان شبابها، وقتل ابنه في الحرب، وتزوجت ابنته الوحيدة ورحلت مع زوجها إلى

"نيوزيلندا" وماتت أثناء الوضع.. وبقي الكولونيل هنا وحيداً حزيناً.

وأهمل البيت حتى تداعى. ثم مات وترك البيت لبنات أخيه الأَنسة "كلوتيلد"

واختيها، وجاءت الأَنسة "كلوتيلد" والأَنسة "أنثيا" للإقامة فيه، ثم انضمت

إليهما السيدة "لافينيا" بعد وفاة زوجها.

وتنهدت العجوز وهزت رأسها بحزن واستطردت قائلة:

- ولم يكن في استطاعتهن عمل شيء لصيانة البيت أو الحديقة..

- كل هذا يدعو للأسف حقاً.

- وخاصة بالنسبة إلى الشقيقات الثلاث.. إنهن من أنبل السيدات وأكرمهن..

ربما كانت الأَنسة "أنثيا" شخصية مهزوزة.. ولكن "كلوتيلد" تخرجت في

الجامعة وهي متوقدة الذكاء وتتكلم ثلاث لغات. أما السيدة "جلين" فإنها على

جانب عظيم من الظرف ودماثة الخلق.. وقد ظننت عندما جاءت أن الأمور

ستتحسن ولكن لا أحد يعلم ما يخبئه القدر.. إنني أشعر أحياناً كان اللعنة حلت

على هذا البيت..

فنظرت إليها الأَنسة "ماربل" متسائلة.. وقالت العجوز:

- لقد توالت الكوارث واحدة بعد أخرى.. سقطت أولاً إحدى الطائرات في

"إسبانيا" وقتل ركابها جميعاً وبينهم إحدى صديقات الأَنسة "كلوتيلد"

وزوجها.. وكان لتلك الصديقة وزوجها ابنة في المدرسة لم تذهب مع أبويها

فنجت من الموت، وجاءت بها الأَنسة "كلوتيلد" إلى هذا البيت لتقيم معها..

واصطحبتها في رحلات إلى "إيطاليا" و"فرنسا"، وعاملتها كابنتها. كانت فتاة سعيدة لطيفة.. لا يتصور إنسان أن يحدث لها ما حدث..

- وماذا حدث لها..؟ وهل حدث هنا..؟

- كلا.. حمداً لله إنه لم يحدث هنا.. وإن كان بوسعك أن تقول لي إنه بدأ هنا.. فهنا قابلته لأول مرة.. كان في هذه المنطقة وكانت الشقيقات الثلاث يعرفن أباه.. وهو رجل غني جداً.. فجاء لزيارتهم وكانت هذه هي البداية..

- ووقع كل منهما في حب الآخر..

- نعم.. إنها أحبته من أول نظرة.. كان شاباً وسيماً حلوا الحديث.. لا يمكنك أن تتصورني بحال أنه..

- هل انتهت قصة الحب نهاية سيئة وانتحرت الفتاة..؟

- انتحرت..؟ من قال لك ذلك..؟ إنها كانت جريمة قتل صارخة.. لقد خُنقت المسكينة وهُشم رأسها وشوهت معالم وجهها، وذهبت الأنسة "كلوتيلد" للتعرف عليها.. فكانت صدمة لم تبرا منها حتى الآن.

وقد وجدت الجثة على بعد ثمانية وأربعين كيلو متراً من هنا، وسط الاعشاب في محجر مهجور، وقيل إن تلك الجريمة لم تكن أولى جرائم الشاب، وأنه قتل بضع فتيات قبل ذلك..

وكانت الفتاة المسكينة قد اختفت منذ ستة شهور، وبحث عنها البوليس في كل مكان، إلى أن وجد جثتها في المحجر..

الاتياً لذلك الفتى الشرير.. لقد كان شيطاناً رجيماً منذ نعومة أظفاره.

يقولون الآن إن هناك مرضى بعقولهم يرتكبون الجرائم مكرهين.. فهم لا يسألون عما يفعلون.. أما أنا فأقول إن هذا هراء.. وإن القاتل يجب أن يلقي جزاءه في جميع الأحوال..

- وماذا فعلوا بذلك الشاب..؟

- أظن أن عقوبة الإعدام كانت قد ألغيت.. أو أنه نجا من المشنقة لصغر سنه.. ومهما يكن الأمر فإنهم وجدوه مذنباً وأرسلوه إلى إحدى الإصلاحيات.

- ماذا كان اسم هذا الشاب..؟

- كان اسمه "مايكل".. ولا أذكر لقبه.. إن الجريمة حدثت منذ عشرة أعوام.. ولا يمكن أن أذكر لقبه بعد كل هذه السنين.. إنه كالاسماء الإيطالية وهو يقترن في ذهني باسم صورة.. أو فنان.. "أفاييل".. أو "رافي"..

- "مايكل رافييل".

- هو ذلك.. وقد أشيع أن أباه واسع الثراء وأنه استطاع تهريبه من السجن.. ولكنني أعتقد أن ذلك كان مجرد إشاعة..



- إذن فالفتاة لم تنتحر.. وإنما قتلت..

لقد قالت "إليزابيث تمبل" إن الحب كان السبب في موت الفتاة. وذلك صحيح إلى حد ما.. فقد أحبت الفتاة قاتلاً.. وبسبب هذا الحب لقيت حتفها.

- 2 -

في ذلك الصباح، عندما هبطت الأنسة "ماربل" إلى الطابق الأول لم تجد واحدة من مضيفاتها، ربما لأن الوقت كان مبكراً.. ففتحت الباب وأخذت تطوف بالحديقة، ليس لأنها كانت معجبة بها، وإنما لأنها أحست إحساساً غامضاً بأن فيها شيئاً جديراً بالملاحظة.. شيئاً يمكن أن يوحى إليها بفكرة.. ولكنها لا تعرف بالتحديد ما هو..

ولم يكن يهمها في ذلك الوقت أن تقابل إحدى الشقيقات؛ لأنها كانت بحاجة إلى الهدوء.. لكي تفكر فيما سمعته من الخادمة العجوز "جانيت".

وجدت أحد أبواب الحديقة مفتوحاً، فخرجت منه وسارت في شارع القرية، ومرت ببعض الحوانيت الصغيرة ووجدت نفسها وجهاً لوجه أمام كنيسة القرية فدخلتها..

كانت كنيسة قديمة يرجع تاريخها إلى العهد الفيكتوري ولكن يد الإصلاح

امتدت إليها في وقت ما فأقامت ما تداعى من جذراتها .
وجلست الآنسة "ماريل" على أحد المقاعد وراحت تفكر .. ترى هل أمسكت
أخيراً بطرف الخيط .. ؟

لقد بدأت الأمور تتصل وتستقيم ولكن بطريقة أبعد ما تكون عن الوضوح .
منذ نحو عشرة أعوام قتلت إحدى الفتيات، واتهم شاب بقتلها .. وأسدل الستار
على المساة وانتهى الأمر .. لا لغز ولا مشكلة .. فماذا في استطاعتها أن تفعل .. ؟
وماذا يريد لها السيد "رافيل" أن تفعل .. ؟
- لا بد أن تحدثها "إليزابيث تمبل" بالمزيد ..

لقد تحدثت عن فتاة كانت مخطوبة لـ "مايكل رافيل" .. ولكن هل ذلك
صحيح .. ؟

لعل الأصح هو القصة التقليدية التي الفت سماعها في قرينتها .. الفتاة تلتقي
بالشاب .. وتتطور العلاقة بينهما . وتتورط الفتاة، وتحمل سفاحاً، فتطلب إلى
الشاب أن يقترب منها، ولكنه لا يريد الزواج ولعله لم يفكر في الزواج أو لعل أباه لا
يوافق على هذا الزواج، وتصير أسرة الفتاة على ضرورة إصلاح الموقف، ويكون
الشاب قد سئم الفتاة أو يكون قد اتصل بفتاة أخرى، فيقرر حسم الموقف بطريقة
سريعة وحشية ويخنق الفتاة ويهشم رأسها؛ حتى لا يتعرف عليها أحد ..
تلك هي القصة التقليدية المألوفة ..

وعندما وصلت الآنسة "ماريل" في تفكيرها إلى هذا الحد .. نهضت واقفة ..
وأجالت حولها نظرة أخيرة ..

كان الهدوء شاملاً .. ولا شيء حولها يدعو إلى التفكير في الشر والجريمة خلافاً لما
أحسست به في البيت القديم وما رايها في قلق "أنثيا" وحزنها ونظراتها التي تنم عن
الخوف والجزع .

- ترى هل تعرف الشقيقات الثلاث شيئاً .. ؟ وما هو ؟

- لا بد أن تحاول الاتصال بـ "إليزابيث تمبل" غداً؛ لكي تعرف منها المزيد .
وعادت الآنسة "ماريل" أدراجها إلى البيت وهي متعبة مكدودة لا تكاد تشعر

بانها تقدمت خطوة واحدة ..

كان الجديد الذي عرفته .. هو المساة القديمة التي روتها "جانيت"، ولكن ما
أكثر المآسي التي تعبها ذاكرة الخدم في القرى ويتناقلونها جيلاً بعد جيل ..

وعندما اقتربت، من البيت، وجدت السيدة "جلين" في انتظارها بالباب وما إن
أبصرت بها حتى خفت لاستقبالها وهي تهتف :

- أهذه أنت .. ؟ كنت واثقة بأنك خرجت للنزهة، وأشفقت عليك من التعب .

فقالَت الآنسة "ماريل" :

- لقد تحولت قليلاً، ودخلت الكنيسة ..

- لا شك في أنك لم تجدي فيها ما يلفت النظر؛ فقد أفقدتها الترميمات المتتالية
بميزاتها المعمارية القديمة .

- الواقع أنني لم أهتم بدراسة طرازها .. إنما ذهبت إليها؛ لأنني أعلم أن الكنائس
هي محور الحياة الاجتماعية في القرى .. هل نشأت في هذه المنطقة يا سيدة
"جلين" .. ؟

- كلا .. كان أبي ضابطاً في المدفعية وكنا نقيم في "هراسلي"، على بعد ثمانية
وأربعين كيلو متراً من هنا .. وكان أبي يأتي بنا أحياناً إلى هذا البيت لزيارة عمي،
ثم انتقلت شقيقتاي إلى هنا بعد وفاة العم، أما أنا فقد كنت وقتئذ في "الهند" مع
زوجي الذي توفي منذ أربعة أو خمسة أعوام .

ولما عدت من "الهند" أقمت في كوخ صغير أملكه بالقرب من "لندن"، ولكنني
شعرت بالقلق على اختي ..

ووجدت من الضروري أن أكون على مقربة منهما ..

- هل قلقت عليهما بسبب حالتهم الصحية .. ؟

- كلا .. فقد كانت "كلوتيلد" دائماً قوية البنية . ولكن "أنثيا" تشير قلقي
أحياناً .. إنها غامضة وتشرد أحياناً فلا تدري أين هي .

- ذلك ما يفعله القلق بالناس .. وما أكثر ما يقلق الناس في هذه الأيام .

- كلا .. كلا .. إنها ليست قلقة، ولكنها مهمومة .. فهي تذكر الحديقة كما

كانت في عهدها الغابر وتريد أن تنفق عليها لتعيدها إلى حالتها الأولى، وكثيراً ما حاولت "كلوتيلد" إقناعها بأن ظروفنا المادية في الوقت الحاضر لا تسمح بذلك. ولكنها لا تفتأ تتحدث عن بيت الزهور وأشجار الخوخ..

- والاعتاب ذات الرائحة الزكية.

- هل حدثتك عنها..؟ إنها لا تبرح ذاكرتها.. ولكن "كلوتيلد" لا تريد أن تسمع شيئاً عن بيت الزهور وأشجار الخوخ..

فقالت الأنسة "ماربل" وهي تدخل البيت مع مضيفتها:

- أظن أنني يجب أن ألتحق بالرحلة غداً.. إنهم سيتحركون في الساعة التاسعة صباحاً على ما فهمت.

- أرجو ألا تكون رحلة متعبة..

- أظن أنني سأكون في خير حال بعد الراحة التي نعمت بها هنا.

الفصل الحادي عشر

الحادث

تناولت الأنسة "ماربل" شاي الصباح في منتصف الساعة الثامنة؛ حتى يتهيأ لها الوقت الكافي لإعداد حقيبتها.

وكانت بسبيل غلق الحقيبة حين سمعت طرقات سريعة على باب غرفتها ودخلت "كلوتيلد" وهي بادية الاضطراب.

هتفت قائلة:

- آواه يا آنسة "ماربل" .. لقد جاء شاب من رفاقك في الرحلة يدعى "أملين برايس" .. يقول إنهم أرسلوه لمقابلتك.

- إنني أذكره .. هل هو شاب في مقتبل العمر؟

- نعم .. شاب من الجيل الجديد بشعره الطويل وثيابه ذات الألوان الصارخة .. ولكنه جاء لينهي إليك نبأ سيئاً .. فقد وقع حادث ..

فدهشت الأنسة "ماربل" وهتفت:

- وقع حادث..؟ للسيارة..؟ هل أصيب أحد..؟

- كلا.. ليس للسيارة..؟ لقد وقع الحادث بعد ظهر أمس خلال الرحلة.. كانت الريح عاصفة.. وكان أعضاء الرحلة في طريقهم لرؤية البرج التذكاري فوق تل "بونافنشر" .. ويبدو أنهم تفرقوا، فارتقى بعضهم التل مباشرة، وسار للوصول إلى القمة.. ولم يكن هناك من يرشدهم أو يوجههم.. ثم حدث أن انهارت بعض الصخور من قمة التل فاصابت واحداً ممن كانوا على السفح.

- ربه.. هذا مؤسف حقاً.. ولكن من الذي أصيب..؟

- فهمت من الشاب أنها سيدة تدعى الأنسة "تمبل".

- "إليزابيث تمبل" .. يا إلهي! .. إنها كانت بجوارى في السيارة.. وهي شخصية معروفة.. كانت ناظرة لإحدى المدارس. فقالت "كلوتيلد":

- إنني أعرفها جيداً. كانت ناظرة مدرسة "فالوفيلد" المشهورة. ثم تقاعدت منذ عام أو عامين.. وحلت محلها ناظرة شابة ذات آراء تقدمية.. ولكن الأنسة "تمبل" ليست عجوزاً.. إنها على جانب عظيم من النشاط، وتهوى الرياضة والرحلات وتسلق الجبال.. ولم يخطر لي ببال أنها في هذه الرحلة.. إنني لا أعرف التفاصيل ولكني أرجو ألا تكون إصابتها خطيرة.

فقالت الأنسة "ماربل" وهي تلقي نظرة أخيرة على الحقيبة:

- لقد فرغت من هذه الحقيبة فهل يمني بنا..

- دعيني أحملها عنك.. وكوني على حذر وأنت تهبطين السلم.



- وجدت الأنسة "ماربل" "أملين برايس" في انتظارها بالباب.

كان مشوش الشعر أكثر من المعتاد، ويرتدي معطفاً من الجلد وسروالا أخضر.

قال وهو يشد على يدها:

- هل علمت بالحادث المؤلم الذي وقع للآنسة "تمبل" ..؟ إنني لا أعرف كيف

حدث ولا اعلم أكثر من أن حجراً سقط من القمة وانحدر على السفح وهوى عليها فاصيبت بارتجاج في المخ ونقلت إلى المستشفى ليلة أمس، وأعتقد أن حالتها سيئة..

وقد جئت لكي أقول لك إن رحلة اليوم؛ قد ألغيت وإننا سنقضي الليلة هنا.
- إنني آسفة حقاً..

- أظن أنهم قرروا إلغاء رحلة اليوم انتظاراً لتقرير الطبيب.. وسنقضي الليلة في الفندق وسوف يترتب على ذلك إجراء بعض التعديل في برامج الرحلة. وقد ذهبت السيدة "ساندبورن" إلى المستشفى في ساعة مبكرة من صباح اليوم ولكنها ستلحق بنا في الفندق في الساعة الحادية عشرة. ولذلك خطر لي أنك ربما تودين العودة إلى الفندق لسماع آخر الأنباء.

فقلت الآنسة "ماربل":

- سأعود معك فوراً بطبيعة الحال.

وتحولت لوداع "كلوتيلد" و"لافينيا" التي كانت قد انضمت إليهم.. قالت:

- يجب أن أشكركما على ما لقيت هنا من حفاوة، والواقع أنني قضيت ليلتين رائعتين نعمت فيهما بالراحة التامة.

فقلت "لافينيا":

- إذا أردت قضاء ليلة أخرى فانا واثقة بان..

ونظرت إليها "كلوتيلد"

ولحت الآنسة "ماربل" في عيني "كلوتيلد" نظرة اعتراض، ولاحظت أنها هزت رأسها هزة خفيفة لا تكاد ترى، فأدرت أنها لا توافق على اقتراح أختها.. التي استطردت قائلة بلسان متلثم:

- صحيح أن الأفضل في مثل هذه الظروف أن تكوني مع الآخرين.. ولكن.

فقاطعتها الآنسة "ماربل":

- نعم.. ذلك أفضل.. ولو على الأقل لكي أعرف كيف سيتصرفون وربما استطعت أن أكون ذات فائدة بطريقة أو بأخرى.. وأعتقد أنني سأجد لنفسي

مكاناً في الفندق فشكراً مرة أخرى.

فقال "أملين برايس":

- إن بالفندق غرفاً كثيرة خالية وأظن أن السيدة "ساندبورن" قد حجزت فيه أماكن لكل أعضاء الرحلة.

وحمل الشاب حقيبة الآنسة "ماربل"، وقال وهو يوسع الخطى:

- إن الفندق قريب من هنا.. في الشارع التالي إلى اليسار.

- أعلم ذلك.. مسكينة الآنسة "قمبل".. أرجو ألا تكون إصابته جسيمة.

- لقد نقلت إلى مستشفى "كاريستاون" على بعد ثمانية كيلو مترات؛ إذ لا توجد هنا مستشفيات ولا شك في أنك تعرفين العبارة المألوفة التي يقولها الأطباء عادة عن حالة المصابين. من أنها ليست أسوأ مما كان متوقعاً.. أما أنا شخصياً.. فأعتقد أن إصابة الآنسة "قمبل" جسيمة.. وعلى كل فإن السيدة "ساندبورن" ستأتينا بالخبر اليقين.

وصلا إلى الفندق ليجدا أعضاء الرحلة يتناولون طعام الإفطار، وسمعا السيدة "بتلر" تقول لزوجها:

- أليس من المزعج أن يقع هذا الحادث المحزن ونحن في أجمل مرحلة من مراحل الرحلة..؟ مسكينة الآنسة "قمبل"، كنت أظن دائماً أنها أوفرنا نشاطاً وأثبتنا قدماً..

فقال زوجها:

- أنت تعلمين أن وقتنا محدود، وقد كنت أفكر في التو واللحظة في إنهاء رحلتنا عند هذا الحد؛ لأن الأمور لن تستقيم بسرعة أو بسهولة.. وإذا حدث ما لا نتوقعه أو نرجوه فلا بد أن تشرح الجثة ويجري تحقيق..

فهتفت زوجته:

- بالله لا تقل هذا الكلام الخفيف يا "هنري"..

وقالت الآنسة "كوك":

- إنك شديد التشاؤم يا سيد "بتلر".. أنا واثقة بان الإصابة ليست بهذه

الخطورة.

وقال "كاسيار" برطانتة الاجنبية:

- بل إنها خطيرة للغاية .. لقد سمعت حديث الطبيب إلى السيدة "ساندبورن" .. قال إنه ارتجاج في المخ .. وأنه لا بد من استدعاء طبيب متخصص، ليرى ما إذا كان يمكن إجراء جراحة.

فقالَت الأُنسة "لوملي" المعجوز لصديقتها:

- ربما كان الأفضل أن نعود إلى بيوتنا يا "ملدريد" ..

ثم التفتت إلى السيدة "بتلر" وقالت:

- إنني اتفقت مع الجيران على ترتيب خاص لقططي .. وأخشى إذا تأخرت يوماً أو يومين أن يحدث ما لا تحمد عقباه.

وقالت "جوانا" لعمتها:

- هل ترين مانعاً من أن أخرج مع "أملين" للنزهة في القرية .. إن ذلك أفضل من الجلوس هنا والإصغاء إلى شتى الملاحظات المخرنة.

فقالَت الأُنسة "كوك":

- إنني أؤيد هذا الرأي.

وقالت الأُنسة "بارو" قبل أن تتمكن السيدة "بورتو" من الإجابة:

- اذهبي يا بنية .. اذهبي.

قالَت ذلك ونظرت إلى الأُنسة "كوك"، ونظرت الأُنسة "كوك" إليها ..

وتنهدتا ..

انتهى طعام الإفطار، وبدأت دلائل القلق تبدو على وجه أعضاء الرحلة. لقد أهدى كل منهم رأيه في الكارثة، وعبر عن دهشته أو حزنه .. ولم يبق لهم إلا أن يجلسوا في وجوم في انتظار الاخبار.

وأخيراً نهضت الأُنسة "كوك" وقالت إنها ستذهب إلى القرية لتتسوق .. وخذت الأُنسة "بارو" حذوها .. وتبعهما الكولونيل "ووكسر" وزوجته وقالاً إنهما سيخرجان للنزهة في الحقل .. وقال "بتلر" وزوجته إنهما سيحاولان البحث في

حوانيت القرية عن تحف يقطنهاها. وانطلق "أملين برايس" للحاق بـ "جوانا" .. والتفت الأستاذ "وانستيد" إلى الأُنسة "ماربل" وقال:

- أظن أن الجلوس في شرفة الفندق المطلة على الطريق أفضل من البقاء هنا .. ألا ترين ذلك أنت أيضاً ..؟

فنهضت الأُنسة "ماربل" ..

لم تكن قد تبادلت معه كلمة واحدة خلال الرحلة، ولكنها لاحظت أنه يحمل دائماً كتاباً في يده .. ولا يكف عن القراءة حتى في السيارة ..

قال لها:

- إنني أفضل الانتظار في مكان هادئ حتى تعود السيدة "ساندبورن" .. فإنه من الضروري أن نعرف حقيقة الموقف.

فقالَت الأُنسة "ماربل":

- إنني أتفق معك في ذلك ..

وخرجا إلى الشرفة .. وكانت خالية من النزلاء وبها عدد من المقاعد المصنوعة من القش.

وقدم إليها "وانستيد" مقعداً، فانتهزت الفرصة .. ونظرت إليه ملياً .. إلى حاجبيه الكثيفين ووجهه المجعد وشعره الغزير الذي خطه الشيب قال لها:

- هل أخطئ إذا قلت إنك الأُنسة "جين ماربل" ..؟

- نعم .. أنا "جين ماربل" ..

وكان صوتها ينم عن الدهشة .. وإن لم يكن هناك ما يبعث عليها. فقد قضى أعضاء الرحلة معاً وقتاً طويلاً يكفي لأن يعرف كل منهم الآخر.

قال "وانستيد":

- هذا ما توقعته مما علمته عن أوصافك.

- أوصافي ..؟

وكان صوتها مفعماً بالدهشة .. فقال "وانستيد" بصوت خافت ولكنه مسموع:

- نعم .. لقد وصفك لي السيد "رافيل" ..

- السيد "رافيل" ..؟

- أيد هشك ذلك ..؟

- إلى حد ما .

- لم أتصور لحظة واحدة أن ذلك سيد هشك ..

- الحقيقة أنني لم أكن أتوقع ..

ولم تتم عبارتها، ولم يتكلم "وانستيد" وإنما راح يتأملها ويحدق إليها كما يفعل الطبيب حتى توقعت أن يسألها:

- ما الأعراض التي تشعرين بها يا سيدتي العزيزة؟

قالت له:

- متى وصفتي لك ..؟ لا بد أنه فعل ذلك .

فقاطعها:

- تريد أن تقولني إنه فعل ذلك قبل موته ببضعة أسابيع ..؟ نعم .. ذلك ما حدث .. وقد قال لي إنك ستشتركين في هذه الرحلة .

- وهل كان يعلم أنك أيضاً ستشتركين فيها ..؟

- نعم ..

- الواقع أنني دهشت أشد الدهشة حين علمت أنه هيا لي هذه الفرصة الفريدة التي ما كانت لتتاح لي لولا كرمه .

فاطرق "وانستيد" برأسه ولم يجب، واستطردت الأنسة "ماريل" قائلة:

- وإنه لما يؤسف له حقاً أن يقع هذا الحادث فيعكر صفونا ..

- نعم .. إنه حادث محزن لم يكن متوقعاً .. أو لعله كان متوقعاً .. ما رأيك ..؟

فبهتت وسألته:

- ماذا تعني بذلك يا أستاذ "وانستيد" ..؟

- لقد حدثني عنك السيد "رافيل" بإسهاب، واقترح أن أشارك معك في هذه الرحلة .. لكي يتم التعارف بيننا على نحو ما هو مألوف في مثل هذه الرحلات حين ينقسم أعضاؤها إلى جماعات .. كل جماعة تضم عدداً من ذوي الميول

والاهتمامات المشابهة .

- كذلك اقترح علي السيد "رافيل" أن الاحظك وأراقبك .

فقلت مستنكرة:

- تلاحظني وتراقبني ..؟ لماذا ..؟

- لحمايتك فيما أظن .. لم يكن يريد أن يحدث لك حادث ..

- ماذا كان يمكن أن يحدث لي ..؟

- ما حدث لـ "إليزابيث تمبل" مثلاً .

وفي هذه اللحظة، مرت "جوانا كروفورد" وبيدها سلة، فنظرت إليهما في فضول ومضت في طريقها إلى داخل الفندق، فقال "وانستيد" وهو يشيخها ببصره:

- فتاة ظريفة .. إن عمتها المستبدة تستخدمها الآن فيما تستخدم فيه الدواب ..

ولكنني واثق بانها ستشق عليها عصا الطاعة قريباً .. وقريباً جداً .

ولكن الحديث عن "جوانا كروفورد" لم يكن يهم الأنسة "ماريل" أو يعينها .

قالت بحدة:

- ماذا كنت تعني بما قلت في التو واللحظة؟

- هذه مسألة يجب أن نناقشها بمناسبة ما حدث .

- تعني ذلك الحادث الذي وقع للآنسة "تمبل"؟

- نعم .. إذا كان حادثاً .

- هل تظن أنه لم يكن قضاء وقدرًا ..؟

- ذلك محتمل .

- ربما .. فانا لا أعرف عنه شيئاً .

- ذلك لأنك كنت غائبة عن المسرح .. أو دعينا نقول؛ لأنك كنت وقت الحادث

تؤدين واجبك في مكان آخر ..

فصمتت الأنسة "ماريل"، ونظرت إليه من ركن عينها مرة أو مرتين .. ثم قالت:

- لست أفهم ماذا تعني ..

- هل أنت تفهميني جيداً.. ولكنك تحذرينني ولك كل الحق في ذلك لانك لا تعرفين شيئاً عني.. كل ما تعرفينه هو اسمي كما جاء في قائمة أعضاء الرحلة.

مهما يكن من أمر فإن مهمتي كانت أن أراقبك وألاحظ ما تفعلين وأن أكون على مقربة منك فيما لو حاق بك خطر من أي نوع.. ولكن الموقف الآن تغير بعض الشيء. واصبح من واجبك أن تقرري هل أنا خصم أم حليف.

- ربما كنت على حق.. إنك عرضت الموقف بوضوح، ولكنني لا أعرف عنك ما يساعدني على الحكم عليك.. فهل كنت صديقاً للسيد "رافيل"؟..

- كلا.. أنا لم أكن صديقاً للسيد "رافيل".. لقد قابلته مرة أو مرتين في اجتماع مجلس إدارة أحد المستشفيات ولكنني كنت أعرف الكثير عنه. واعتقد أنه كان يعرف الكثير عني.. إنني أخشى أن تتهميني بالغرور يا آنسة "ماربل" إذا قلت إنني شخص بارز في المهنة التي أزاولها.

- هل تراول الطب؟..

- أراك قوية الملاحظة يا آنسة "ماربل" .. نعم.. إنني أزاول الطب، وتخصصي هو الطب النفسي.. وعملي قاصر على الخبرة الطبية في القضايا الجنائية.. فلقد عكفت على دراسة عقلية المجرمين على اختلاف أنواعهم. وقضيت في ذلك سنوات عديدة، ولي في هذا الموضوع مؤلفات أثارت كثيراً من الجدل في الدوائر الطبية.

فقلت الآنسة "ماربل":

- ما دام الأمر كذلك فلعلك تستطيع أن توضح لي بعض أمور لم ير السيد "رافيل" من المناسب أن يوضحها لي. لقد طلب إلي الاضطلاع بمهمة معينة. ولكنه لم يمدني بمعلومات أعمل على ضوئها. وكانت حماقة منه أن يعالج الموضوع بهذه الطريقة.

- ولكنك قبلت المهمة؟..

- ساكون صريحة معك.. إنني قبلتها بسبب الحافز المالي.

- وهل يهيك الحصول على هذا المال؟..
فصمت الآنسة "ماربل" لحظة ثم قالت:
- قد لا تصدقني إذا قلت لك إنه لا يهمني.

- إذن فقد أثارت المهمة فضولك؟..

- نعم.. إنها أثارت فضولي.. كانت معرفتي بالسيد "رافيل" سطحية فقد قابلته لأول مرة في إحدى جزر "الهند الغربية".. ولا بد أنك تعرف شيئاً عن هذا الموضوع.

- أعرف أنكما تعاونتما معاً هناك.

- هل قال لك ذلك؟..

- نعم.. وقال إن لك حاسة سادسة فيما يختص بالجرائم.

- ألم يشر ذلك دهشتك؟..

- إنني قلما أدهش.. ثم إن السيد "رافيل" كان رجلاً حصيفاً يحسن الحكم على الناس.

وسكت لحظة ثم قال:

- المفهوم أننا اجتمعنا هنا مصادفة أو بتدبير سابق؛ لكي نبحث أموراً معينة.. ونحن الآن وحدنا ولا أحد يرانا أو يسمعنا، فلماذا لا نتحدث في صراحة؟..

- إنني أرحب بذلك ولكنني أؤكد لك أنني أجهل تماماً ما يراد مني. ولا أدري لماذا تعمد السيد "رافيل" أن يتركني في الظلام؟

- لعله أرادك أن تعالجي بعض الحقائق والأحداث بعقل مفتوح وبلا تحيز.

- إذن فليس في نيتك أنت أيضاً أن تمدني بمزيد من المعلومات؟..

فابتسم "وانستيد" وأجاب:

- بل سأذكر لك حقائق معينة توضح لك بعض الأمور.

- إذن تكلم بحق السماء..



الفصل الثاني عشر

استشارة

قال "وانستيد":

- سأحدثك بإيجاز عن الظروف التي أقدمتني في هذه القضية.. إنني أعمل - بين وقت وآخر - مستشاراً لوزارة الداخلية، كما أنني على اتصال بالمؤسسات التي يودع بها المتهمون في جرائم معينة، لمدة معينة، أو إلى أجل غير مسمى، وفقاً لأعمارهم وأمراضهم العقلية والنفسية.. تنفيذاً للأحكام التي أصدرتها محاكم الجنايات.. أو محاكم الأحداث.

وقد جرت العادة أن أستشار في أمر المجرمين عقب اعتقالهم وانتهاء التحقيق معهم، لتقرير مدى مسؤوليتهم عن الجرائم التي ارتكبوها، ونوع المعاملة التي يجب أن يعاملوا بها أثناء اعتقالهم، والعقوبة المشددة أو المخففة التي ينبغي أن تطبق عليهم.

ويحدث أحياناً أن يتصل بي مدير إحدى هذه المؤسسات لاستطلاع رأيي في حالة بعينها.

وذات يوم، تلقيت عن طريق وزارة الداخلية رسالة من مدير إحدى المؤسسات فذهبت لمقابلته، واكتشفت أنه من أصدقائي القدامى الذين انقطعت صلتي بهم منذ وقت طويل.

وعرض عليّ الرجل المشكلة التي تقلقه، وهي مشكلة خاصة بمذنب شاب أرسل إلى تلك المؤسسة قبل أن تستد إليه إدارتها ببضع سنوات.

قال إن له خبرة بالمذنبين المرضى، وإنه فحص ملف هذا المذنب الشاب.. وسوابقه المتعددة، فوجد أنه إنسان منحرف منذ نعومة أظفاره، إنسان مستهتر لا يقيم وزناً للمسؤولية.. بل مجرم بطبعه وغرائزه، فارتكب جرائم السرقة والتزوير والاحتيال، وهتك العرض.. صفوة القول إنه كان من أولئك الأبناء الذين يجلبون العار لأهليهم.

فغمغمت الأنسة "ماربل" قائلة:

- فهمت..

- فهمت ماذا؟

- فهمت أنك تتحدث عن ابن السيد "رافيل".

- أصبت.. إني أتحدث عن ابن السيد "رافيل"، فماذا تعرفين عنه..؟

- لا شيء.. إنما سمعت - وكان ذلك بالأمس فقط - أن للسيد "رافيل" ابناً

منحرفاً ذا ماضٍ حافل بالجرائم.. هل كان هو الابن الوحيد للسيد "رافيل"؟

- نعم.. كان ابنه الوحيد.. ولكن كانت له ابنتان أخريان، ماتت إحدهما وهي

في الرابعة عشرة من عمرها، وتزوجت الأخرى وهي سعيدة في حياتها الزوجية

ولكنها لم ترزق بأولاد.

- مسكين ذلك الرجل!!

- ربما.. ولقد ماتت زوجته وهي في شرح الشباب، واعتقد أن حزنه عليها كان

عظيماً رغم حرصه على إخفائه. ولا أعلم إلى أي مدى كان يهتم بأولاده، ولكنني

وائق بأنه كان يعنى بهم أشد العناية وأنه بذل قصارى جهده من أجل ابنه.. أما

ماذا كان شعوره نحو هذا الابن فذلك ما لا أعلمه، فقد كان من المتعذر قراءة

أفكاره أو معرفة مشاعره. واعتقد أن كل حياته واهتماماته كانت تتركز في عمله

كرجل مالي، شأنه في ذلك شأن جميع الناجحين من رجال المال والأعمال.. لم

يكن شغوفاً بالمال ذاته.. بقدر شغفه بالنجاح.

وأكبر الظن أنه فعل ما يستطيع من أجل ابنه، وأنه استخدم أعظم المحامين لإنفاذه

من تبعات جرائمه كلما كان ذلك مستطاعاً.. إلى أن حلت الكارثة الكبرى، حين

اتهم الشاب بالاعتداء على إحدى الفتيات وهتك عرضها، فحكّم عليه بالسجن،

وراعت المحكمة صغر سنه، فلم تأخذه بالشدة.

وبعد أن قضى مدة العقوبة.. جاءت الكارثة الثانية والأخيرة..

- قتل إحدى الفتيات.. اليس كذلك؟ ذلك ما قيل لي.

- إنه غرر بها وحملها على الهرب معه... ثم وجدت جنتها بعد بضعة شهور،

وأثبت الفحص الطبي أنها خنقت ثم هشم رأسها بحجر أو بآداة ثقيلة؛ لإخفاء معالم وجهها حتى لا تعرف شخصيتها.

- يا له من وحش!!

- أهذا رأيك فيه؟

- إن الجرائم التي من هذا النوع تثير غضبي واشمئزازي.. وإذا كنت تتوقع مني أن أعبر عن أسفي وعطفي على هذا المجرم، أو أن التمس له عذراً من طفولته أو تربيته أو بيئته.

فإنني لا أحب الشر ولا الأشرار.

فقال "وانستيد":

- يسرني أن أعلم ذلك.. إنك لا يمكن أن تصدقي كم أعاني في مهنتي من أولئك الذين يبكون ويولولون ويصرفون بأستانهم ويلقون اللوم كله على البيئة والوراثة والطفولة التعيسة.. ولو علم هؤلاء في أية بيئة يعيش بعض الناس، وبأية قسوة يعاملون، وأية صعوبات يلقون في حياتهم- ومع ذلك يخرجون من هذه المحن كراماً شرفاء- لما بكوا ولولوا.. وألقوا اللوم على غير أنفسهم.

إنني أشفق على المرضى والمتخلفين عقلياً والذين لا يستطيعون السيطرة على أنفسهم والتحكم في تصرفاتهم. ولكنني لا ألوم البيئة أو الظروف.. هل تفهمين ما أعني..؟

- نعم.

- لنعد إلى قصتنا.. لقد أوضح لي مدير تلك المؤسسة سبب حرصه على معرفة رأيي فيما يهمه ويشغل باله. فقال إن اتصالاته بذلك المذنب الشاب وتجاربه معه ودراسته له. قد أقتنعت بأنه لا يمكن أن يكون قاتلاً ممن رأهم قبلاً. إن له عقلية المجرم ولا يمكن إصلاحه أو تقويمه مهما عولج.. ولكنه ليس قاتلاً.. ثم قال إنه لا يستطيع أن يصدق أن هذا الشاب قد خنق فتاة ثم ألقى جثتها في حفرة. وأهوى على وجهها بحجر.. وأنه توفر على دراسة ملف القضية.. وما تضمنه من حقائق وأدلة.. تتلخص في أن الشاب كان يعرف الفتاة،

وأنه شوهد معها مراراً في مناسبات مختلفة قبل الجريمة. وأنهما مارسا الجنس معاً، وأن سيارته شوهدت بالقرب من مكان الجريمة.

فالادلة إذن قوية.. وقاطعة، ولكن رأيي الشخصي الذي تولد من تجاربه ومن دراسته للمتهم الشاب تتعارض مع الأدلة.. ولذلك فكر بدافع تعصبه الغريزي للحق والعدل في استطلاع رأي خبير في الطب النفسي.. ولما كنت متخصصاً في هذا الفرع من الطب، فقد أرسل في طلبي لكي أقابل المتهم وأتحدث إليه، وأقومه، وأبدي رأي الطب النفسي فيه.

فقال الآنسة "ماربل":

- هو ذا رجل نزيه محب للعدل.. رجل جدير بالاحترام ويجب التعاون معه.

- لقد تعاونت معه، وقابلت المتهم، وتحدثت إليه، وتوفرت على دراسته من جميع النواحي، وناقشته في النقط القانونية التي يمكن إثارتها.. بل قلت له إنه من المحتمل أن نستعين بأحد كبار المحامين لإبراز النقط التي في مصلحته.. تحدثت إليه كصديق.. وتحدثت إليه كعدو؛ لكي أرى ردود الفعل في الحالتين.. وأخضعته لعدد من الاختبارات العلمية التي يلجأ إليها الطب النفسي الحديث.

- وماذا كان رأيك في النهاية..؟

- كان رأيي أن مدير المؤسسة على حق، وأن "مايكل رافيل" لا يمكن أن يكون قاتلاً.

- وماذا عن القضية الأولى التي أدين فيها بالاعتداء على إحدى الفتيات وسجن..؟

- كانت قرينة ضده بطبيعة الحال، ولكنها لم تؤخذ في الاعتبار، وقد بحثت وقائع هذه القضية مؤخراً، ووجدت أنها ليست قضية هتك عرض بالمعنى المفهوم، فالفتيات في هذه الأيام أقل مقاومة للاعتداء ولكن أمهاتهن يصرون على وصف المغامرة بأنها اعتداء، وهتك عرض، وقد ثبت أن الفتاة التي نحن بصدددها كان لها أكثر من صديق، وأن العلاقة بينها وبينهم تجاوزت حدود الصداقة البريئة.. ولهذا

اعتقد أن هذه القضية الأولى لم تؤخذ في الاعتبار عند نظر القضية الثانية .

- وماذا فعلت بعد ذلك .. ؟

- اتصلت بالسيد "رافيل" ، وقلت له إنني أريد مقابلاته لأمر خاص بابنه ، وتقابلنا ، وأوضح لي وجهه نظري ووجهه نظر المؤسسة التي يقضي فيها ابنة العقوبة ، وقلت له إنه لا يوجد لدينا دليل يبرر المطالبة بإعادة نظر القضية ولكننا على يقين من أن الحكم قد صدر مجانياً للعدالة . فهو خطأ من أخطاء القضاء ..

ثم اقترحت عليه القيام بتحقيق ربما يتكلف كثيراً من النفقات . ولكن يحتمل أن يكشف عن حقائق تنقح المسؤولين بإعادة نظر القضية . وكنت قد لاحظت أثناء الحديث أن السيد "رافيل" مريض جداً ، ولم يلبث هو نفسه أن اعترف بذلك قائلاً : إن الأطباء أئذروه منذ عامين بأنه سيموت بعد عام واحد ، ثم وجدوا فيما بعد أنه قد يعيش أطول مما قدروا له ؛ لصلابته وقوة احتماله وإصراره على الحياة .

ثم سألته عن شعوره نحو ابنه :

- ماذا كان شعوره ؟

- كان صريحاً معي رغم ..

- رغم جفائه ..

- هذا هو الوصف الصحيح يا آنسة "ماريل" .. كان رجلاً جافاً بقدر ما كان أميناً .. قال : إنني أعرف ابني على حقيقته منذ سنوات عديدة . ولم أحاول تقويمه ؛ لأنه ليس في مقدور أحد أن يقوم به .. فهو معوج ومطبوع على الشر وإذا خرج من ورطة وقع في أخرى ، لذا نفضت يدي منه فيما عدا أنني كنت أمدّه بالمال والمعونة كلما أطلب عليه القانون . لقد فعلت من أجله كل ما أستطيع ، ولو كان لي ولد مريض أو مصاب بالشلل أو الصرع لفعلت من أجله كل ما أستطيع .. لا أكثر ولا أقل .. والآن .. ماذا أستطيع أن أفعل من أجله .. ؟

فقلت له إن ذلك يتوقف على ما يريد هو أن يفعله فاجاب :

- إن الأمر واضح .. فانا الآن مريض لا حول لي ولا قوة .. ولكنني أعرف ما ينبغي عمله . ينبغي أن يرد له اعتباره وأن يطلق سراحه لكي يعيش على نحو ما يريد ، فإذا أراد المضي في عبثه وشروبه فذلك شأنه .. سأترك له ما لا يعيش منه .. وسأفعل كل ما أستطيع من أجله .. إنني لا أريده أن يسجن ويتالم ويعزل عن الحياة بسبب غلطة طبيعية تبعث على الأسف .. فإذا كان هناك رجل آخر قتل الفتاة فإنني أريد أن يعرف ذلك ويذاع على الملا .

- إنني أريد العدالة لـ "هايكل" ... ولكنني إنسان مريض ... وما بقي لي في الحياة بحسب بالاسباب لا بالشهور أو السنين .

فقلت له :

- إنني أعرف من المهامين من يستطيع ..

ولكنه قاطعني بقوله :

- لا جدوى من المهامين ... في استطاعتك أن تستخدمهم ... ولكن لا جدوى منهم .. سأحاول تدبير الأمر بنفسني في حدود الفترة القصيرة التي سأعيشها .

وعرض عليّ مبلغاً كبيراً ؛ لأقوم بالبحث عن الحقيقة دون أن أدخر في سبيل ذلك جهداً أو مالا ... وقال :

- أنا شخصياً لا أستطيع عمل شيء ؛ لأن الموت قد يدهمني في أية لحظة . ولكنك ستكون أكبر عون لي وسأختار لك الشخص الذي يساعدك في مهمتك .

قال ذلك وكتب اسم (الآنسة "ماريل") واستطرد قائلاً :

- لن أذكر لك عنوانها ؛ لأنني أريدك أن تقابلها في المكان والظروف التي سأحددها .

ثم حدثني عن رحلة (جمعية القصور التاريخية والحداثق المشهورة) وقال إنه سيحجز لي مكاناً فيها .

قال :

- وستكون الآنسة "ماريل" في هذه الرحلة أيضاً وهكذا تلتقيان وكان الأمر مجرد مصادفة .

وصمت "وانستيد" لحظة ثم قال:

- كان عليّ أن أختار الوقت المناسب لأعرفك بنفسي إذا رأيت ذلك ضرورياً...
أو ألا أعرفك بنفسي إذا كان ذلك أفضل.

- إنني أتوقع أن تسأليني عما إذا كان لدي أو لدى صديقي مدير المؤسسة من الأسباب ما يحملنا على الارتاب في أن شخصاً بعينه قد ارتكب الجريمة التي اتهم فيها "مايكل"... ولذلك أبادر فأقول لك إننا لا نرتاب في أحد، وإن صديقي مدير المؤسسة قد بحث هذا الموضوع مع ضابط الشرطة الذي أشرف على تحقيق الجريمة، وهو ضابط كفاء له خبرة واسعة في هذه الأمور.

- ألم يرتب الضابط في أحد...؟ ألم يذكر أي اسم...؟ ألم يكن للفتاة صديق سابق انتزعت من قلبها عندما اتصلت بـ "مايكل"...؟
- كلا..

وصمت "وانستيد" مرة أخرى ثم استأنف حديثه قائلاً:

- طلبت إلى السيد "رافيل" أن يحدثنني عنك فكان كل ما قاله إنك متقدمة في السن، ولك خبرة بالناس. ثم ذكر عنك شيئاً آخر.

- ما هو...؟ هل قال لك إنني شديدة الفضول...؟ لعل هذه هي الصفة الطيبة الوحيدة التي أعرفها في نفسي.. وفيما عدا ذلك فأنا ضعيفة السمع والبصر وأبدو كأي عجوز ساذجة... فهل قال لك شيئاً بهذا المعنى...؟

- كلا... ولكنه قال إن لك حاسة سادسة بالنسبة إلى الجريمة.

- أحقاً...؟

- هل هذا صحيح...؟

- ربما.. والواقع أنني كثيراً ما أحسست بالشر ومكانته في الدوائر القريبة مني... إنه إحساس غريزي... ومثلي في ذلك مثل أولئك الذين يولدون بحاسة شم قوية، إنهم يشمون رائحة الغاز المتسرب بينما لا يشمه الآخرون. ويستطيعون تمييز أنواع العطور بسهولة... كانت لي عمّة طالما سمعتها تقول إنها تشم رائحة الكذب... إن الكذب لا رائحة له... ولكنها الحساسية

والغريزة.

في هذه القضية بعد وفاة السيد "رافيل"... دعاني محاميه لمقابلته وأطلعني على العرض الذي اقترحه السيد "رافيل"... ثم تسلمت رسالة من هذا الأخير لم توضح لي شيئاً... وبعد فترة من الوقت، جاءتني رسالة من الشركة التي تشرف على هذه الرحلات، قالت فيها إن السيد "رافيل" حجز لي قبل موته مكاناً في هذه الرحلة كمفاجأة لي.. فدهشت، ولكنني اعتبرت الرحلة خطوة أولى في الطريق إلى الهدف الذي ينتشده. وأنني بعد الرحلة أو خلالها سألتقى مزيداً من التعليمات أو التوجيهات. وأمس الأول، استقبلت على أثر وصولي ثلاث شقيقات دعوني لقضاء يومين معهن في بيتهن القديم، وقلن إنهن تلقين رسالة من السيد "رافيل" كتبها قبل موته.. وقال فيها إن صديقة قديمة له ستكون بين أعضاء الرحلة، وإنه سيكون شاكراً إذا هن استضفن هذه الصديقة يومين أو ثلاثة؛ لأن صحتها لا تسمح لها بارتقاء التل... وشهود النصب التذكاري مع زملائها في الرحلة التي تضمنها برنامج أمس.

- وهل اعتبرت ذلك أيضاً كتوجيه لك إلى مهمتك...؟

- طبعاً... لم يكن هناك تفسير آخر... فالسيد "رافيل" ليس الرجل الذي يكلف نفسه كل هذا العناء لمجرد إشفاقه على سيده عجوز من متاعب صعود التل. إنه كان يريدني أن أذهب إلى ذلك البيت.

- وهل ذهبت...؟ وماذا وجدت...؟

- لا شيء... سوى ثلاث شقيقات.

- ثلاث شقيقات غريبات الأطوار.

- كلا... ثلاث شقيقات عاديات... ولكنهن على جانب عظيم من اللطف ودماثة الخلق، وإن اختلفت كل منهن عن الأخرى، وقد خيل إليّ أنهم لا يعرفن السيد "رافيل" جيداً... وكانت جميع محادثاتي معهن غير مثمرة.

- إذن لم يتكشّف لك شيء خلال إقامتك...؟

- بل تكشفت لي الحقائق الأساسية في القضية التي حدثتني عنها الآن. ذكرتها

لي خادم عجوز ترجع صلتها بالبيت إلى عهد الكولونيل العجوز عم الشقيقات الثلاث.. لم تكن تعرف السيد "رافيل" ولكنها تحدثت عن الجريمة بطلاقة... فقالت إن الماساة بدأت بزيارة ابن السيد "رافيل" لذلك البيت... وأن الفتاة أحبته وأنه خنتها.

- ألم تذكر أن للشقيقات صلة بالماساة..؟

- كلا... كل ما قالته إن الفتاة كانت ربيبتهم وإنهن أحبينها حب العشق.

- لعلهن يعرفن شيئاً عن... عن رجل آخر كان يحب الفتاة..؟

- نعم... هذا الرجل هو ضالطنا التي يجب أن نبحث عنها.. ولا بد أن يكون رجلاً فقط لا يتورع عن تهشيم رأس فتاة بعد قتلها.. رجلاً من أولئك الذين تخرجهم الغيرة عن صوابهم.

- هل لفت نظرك شيء في ذلك البيت..؟

- لا شيء يستحق الذكر... كانت صغرى الشقيقات لا تكف عن الحديث عن الحديقة كما لو كانت من هواة فلاحه البساتين... ولكنني نصبت لها فخاً. واكتشفت أنها لا تعرف حتى أسماء الزهور... وذلك يذكرنني بشيء آخر.

- ما هو..؟

- هل رأيت بين أعضاء الرحلة امرأتين في الحلقة الثالثة من العمر..؟ إحداهما

تدعى الآنسة "بارو" والثانية الآنسة "كوك"..؟

- نعم... أعتقد أنهما عانسان تسافران معاً.

- لقد اكتشفت أمراً عجيباً عن الآنسة "كوك"... أو من تدعو نفسها بهذا

الاسم.

- لماذا..؟ هل لها اسم آخر..؟

- أظن ذلك... إنها نفس المرأة التي مرت ببيتي في القرية حيث أقيم، وعبرت عن إعجابها بحديثي.. وتحدثت عن الحقائق... وقالت إنها تقيم مع سيدة تقطن في بيت جديد هناك..

أنا أعتقد أن كل ما قالته كان كذباً؛ لأنها أيضاً لا تعرف شيئاً عن الحقائق.

- ماذا كان غرضها إذن من حديثها معك..؟

- لم أكن أعلم في ذلك الوقت... قالت لي يومئذ إن اسمها "بارتليت"... وذكرت للسيدة التي تقيم معها اسماً لا يحضرني الآن... ولكنه يبدأ بحرف الهاء فيما أظن.. وكان شعرها لون آخر.. كما كانت ثيابها من طراز مختلف وعندما قابلتها في هذه الرحلة لأول مرة لم أعرفها.. ولكنني شعرت بأن وجهها مألوف... وفجأة تذكرتها حين اكتشفت أن شعرها مصبوغ... واعترفت لي بأنها ذهبت إلى القرية وزعمت أنها أيضاً لم تعرفني في الرحلة.. وكل ذلك كان كذباً...

- وما رأيك أنت؟

- من المؤكد أن هذه التي تدعو نفسها الآنسة "كوك" قد ذهبت إلى القرية خصيصاً لتراني؛ حتى تستطيع التعرف إليّ ومتى تقابلنا مرة أخرى.

وساد الصمت بينهما بضع لحظات إلى أن قال "وانستيد":

- إن ما حدث لـ "إليزابيث تمبل" يثير قلقي... هل تحدثت إليها خلال الرحلة؟

- نعم... وأود أن أتحدث إليها مرة أخرى متى تحسنت حالها... فقد تفضي إلينا بالمزيد عن الفتاة التي قتلت.. إنها حدثتني عن هذه الفتاة التي كانت طالبة في مدرستها فقالت إنها كانت على وشك الزواج بابن السيد "رافيل"، ولكنها لم تتزوج وماتت وعندما سألتها كيف ماتت ولماذا ماتت.. أجابت بكلمة واحدة هي (الحب). وظننتها تعني أن الفتاة انتحرت. ولكن الحادث كان جريمة قتل... جريمة قتل بسبب الغيرة... ذلك هو التفسير الوحيد.. كان هناك رجل آخر يحب الفتاة. ومهمتنا هي البحث عن هذا الرجل وربما استطاعت "إليزابيث تمبل" أن تدلنا عليه.

- ليست هناك احتمالات أخرى..؟

- إن ما نحتاج إليه في الوقت الحاضر أكثر من أي شيء آخر هو المعلومات.. حتى ولو كانت معلومات غير كاملة وقد نكون إحدى الشقيقات الثلاث نعرف أو نتذكر شيئاً قالته الفتاة أو قاله "مايكل".

لقد كانت "كلوتيلد" تقوم مع الفتاة برحلات إلى الخارج، فلعلها تذكر شيئاً

حدث أو كلمة قالتها الفتاة في إحدى هذه الرحلات عن رجل قابلته أو اتصلت به .
أما الأخت الثانية - "لافينيا" - فإنها تزوجت وعاشت مع زوجها في "الهند" ،
وكانت صلتها بالفتاة أضعف من صلة أختيها، ولكن ذلك لا يمنع من أنها ربما
تعرف بعض الحقائق .

وأما الأخت الصغرى، فإن عقلها مشنت إلى حد ما، ولكن ربما كانت لديها
معلومات عن عشاق الفتاة، أو ربما سبق لها أن رأت الفتاة مع رجل مجهول .. آه ..
ها هي الأخت الصغرى ... "أنثيا برادبوري" ... إنها تحمل حزمة كبيرة ... ولعلها
في طريقها إلى مكتب البريد في ركن الشارع .

- يخيل إلي أنها قليلة الاهتمام بمظهرها ... انظري كيف يتطاير شعرها الجميل
في الهواء !!

الفصل الثالث عشر

مربعات سوداء وحمراء

- 1 -

عادت السيدة "ساندبورن" عندما كان أعضاء الرحلة يتناولون طعام الغداء، ولم
تكن أنباؤها مطمئنة ... إذ قالت إن "إليزابيث تمبل" لا تزال في غيبوبة ... ولا
يمكن نقلها قبل بضعة أيام .

ثم تناولت المسائل العملية، فقالت إنها أعدت جدولاً لمواعيد القطارات لأولئك
الذين يرغبون في العودة إلى "لندن" . كما وضعت برنامجاً معدلاً للرحلة التي قد
تستأنف بعد يوم أو يومين ..

وانتهى "وانستيد" بالآنسة "ماربل" زاوية وقال لها :

- إذا لم يكن في نيتك الاستراحة بعد ظهر اليوم فسأمر بك بعد ساعة
لاصطحبك إلى إحدى الكنائس الأثرية .

- 2 -

وفي الوقت المحدد جاء "وانستيد" في سيارة استأجرها، وجلست الآنسة "ماربل"
بجواره في المقعد الثاني .

قال لها :

- لقد خطر لي أنه ربما يهملك زيارة هذه الكنيسة بالذات . وليس ثمة ما يمنعنا
عن الاستمتاع بالمناظر الريفية ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً .

فقالت الآنسة "ماربل" :

- هذا كرم منك ... ولكن يخيل إلي أن كل متعة في هذه الظروف تبدو شيئاً
قاسياً ... ولا شك في أنك تفهم ما أعني .

- يا سيدتي العزيزة ... إن الآنسة "تمبل" لم تكن صديقتك في يوم ما .. وهذه
الحوادث المحزنة تقع كل يوم .

وعندما ابتعدت السيارة عن القرية، التفت "وانستيد" إلى الآنسة "ماربل"
وقال :

- إننا لن نذهب إلى أية كنيسة .

- هذا ما توقعته ... إلى أين سنذهب إذن .. ؟

- إلى مستشفى في "كاريستاون" .

- المستشفى الذي نقلت إليه الآنسة "تمبل" .. ؟

- نعم ... لقد حملت إلي السيدة "ساندبورن" رسالة من إدارة المستشفى ...
فاتصلت بالمستشفى تليفونياً منذ قليل .

- هل الآنسة "تمبل" أحسن حالاً ؟

- كلا ... إن شفاءها أمر مشكوك فيه .. ولكن ليس هناك ما يمكن عمله، إنها
في غيبوبة لا تفيق منها إلا لحظات .

- ولماذا تذهب بي إليها؟ إنني لست صديقتها ... وقد قابلتها لأول مرة في هذه
الرحلة .

- أعلم ذلك ... إنني أذهب بك إليها؛ لأنها ذكرت اسمك في إحدى لحظات

يقظتها . وطلبت مقابلتك .

- ترى لماذا وهي تعلم أنني لن أستطيع أن أفيدها بشيء ..؟

ثم هزت رأسها أسفاً واستطردت قائلة:

- إنها سيدة عظيمة ... كانت ناظرة لمدرسة "فالويلد" وكانت لها مكانة بارزة في الدوائر التربوية وهي شخصية واسعة الثقافة. ولديها دكتوراه في الرياضيات. وكانت شديدة الاهتمام بالمسائل التربوية ولا تدخر وسعاً في تشجيع تلميذاتها فيما يتفوقن فيه من فروع العلم والمعرفة. وإنه لمن القسوة أن تذهب ضحية حادث سخيف كهذا... إن هذا الحادث ..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة:

- لعلك تفضل ألا تناقشه؟

- بل من الأفضل أن تناقشه ... لقد سقط حجر من فوق التل وذلك أمر مألوف حدث مراراً من قبل ... ولكن بعضهم تحدث إليّ في هذا الموضوع.

- في موضوع الحادث...؟ من الذي تحدث إليك...؟

- الشبان "جوانا كروفور" و"أملين برايس".

- ماذا قال لك؟

- قالت "جوانا" إنها رأت فوق التل شخصاً يزحزح الحجر بكل قوته ليدخره على سفح التل، وإنها لا تستطيع أن تجزم هل كان هذا الشخص رجلاً أم امرأة... ولكنها واثقة بأنها رأت الحجر يهتز ثم ينفصل من مكانه وبهوي على سفح التل... في الوقت الذي كانت فيه الأنسة "قميل" تسير في الممر المألوف المؤدي إلى القمة.. فأصابها الحجر وواصل انحداره بكل قوة.

وتعتقد الفتاة أنه لو لم يعتمد إنسان إصابة الأنسة "قميل" بذلك الحجر لما نجح..

- وهل كان ذلك الشخص رجلاً أم امرأة...؟

- من سوء الحظ أن الفتاة لم تستطع أن تقطع في هذا الأمر برأي... قالت إنه كان يرتدي سروالاً أزرق وقميصاً من الصوف منقوشاً بمربعات حمراء وسوداء زاهية اللون. ثم اختفى عقب ذلك مباشرة.

- وهل تعتقد الفتاة أو هل تعتقد أنت أن الحادث دبر عمداً لقتل الأنسة "قميل"؟

- إن الفتاة تميل إلى هذا الاعتقاد ويؤيدها الشاب.

- أليست لديك فكرة عمن يكون الفاعل؟

- كلا... إطلاقاً... ربما يكون أحد أعضاء الرحلة أو شخصاً مجهولاً علم بموعد وصول الرحلة واختار هذا المكان للاعتداء على حياة أحد أعضائها... وربما يكون أحد هواة العنف حباً للعنف في ذاته... على أن السؤال الذي يجب أن نطرحه هو: من الذي يود قتل ناظرة مدرسة متقاعد...؟

ربما تستطيع الأنسة "قميل" نفسها الإجابة عن هذا السؤال؛ إذ يحتمل أنها قد تكون رأت الفاعل وعرفته... أو ربما تعرف شخصاً معيناً يحقد عليها لسبب ما... إن ناظرة المدرسة تتصل بتلميذاتها وبعمائلاتهن... وتعرف عن الفتيات ومغامراتهن أكثر مما يعرف ذووهن... وقد أصبحت المغامرات العاطفية شيئاً مألوفاً في حياة الطالبات في هذا الزمن..

يقولون إن البنات ينضجن في سن مبكرة وهذا صحيح من وجهة النظر الفسيولوجية... ولكن النضج بمعناه الصحيح لا يحدث إلا في وقت متأخر.

إن طفولة البنات تمتد وقتاً طويلاً... فنظف البنت طفلة بالثياب التي ترتديها.. وبشعرها الذي يتطاير حولها، وبالميني جيب الذي يرمز لعشق الطفولة... إنها لا تحب أن تكون مراقبة... ولا أن تضطلع بمسؤوليات المراهقات. ولكنها تحب كأي طفل- أن يظن الناس أنها قد شبت عن الطوق. وأن من حقها أن تمارس حريتها وأن تفعل ما يفعله الكبار.. ومن هنا تحدث المآسي.

- هل تشير إلى مأساة بعينها...؟

- كلا... إنما أفكر في كافة الاحتمالات. ولكنني لا أظن أن للأنسة "قميل" عدواً من قسوة القلب بحيث يترقب مثل هذه الفرصة لقتلها... ولعل أقرب الاحتمالات إلى الصواب هو...

وصمتت لحظة ثم قال:

- حاولي أن تعرفي ما يدور بخلدني...

- أظن أنني أعرف ما يدور بخلدك ... أنت تظن أن الأنسة "قمبل" ربما تعلم أموراً خطيرة لا يريد القاتل أن تعرف أو تداع...؟
- ذلك ما خطر لي.

- وهذا معناه أن بين أعضاء الرحلة شخصاً تعرف الأنسة "قمبل"، ولم تتعرفه هي بسبب مضي السنين، وأن هذا الشخص أراد أن يتخلص منها؛ لأنها تعرف من أمره ما لا يود أن يعرفه الآخرون.

وإذن يجب أن نبحث عن الفاعل بين أعضاء الرحلة... هل قلت إن قميصه كان منقوشاً بمربعات سوداء وحمراء...؟
- نعم...

- إنهما لونان بلفتان النظير... ولذلك تذكرتهما "جوانا" أصغ إلي... إنك عندما تصف شخصاً رأيته من بعيد.. فإن أول شيء تصفه هو ثيابه.. لا وجهه أو مشيته.. وقد حرص الفاعل على ارتداء قميص ذي ألوان صارخة تلفت نظر من يراها... والغرض من ذلك أنه متى خلع القميص وتخلص منه بأن أرسله في طرد بريدي إلى مكان يبعد مئات الكيلومترات أو أحرقه... فإنه يكون بذلك قد تخلص من الدليل وأبعد عنه الشبهات.
- هذا رأي سليم.

- والفاعل غالباً رجل لا امرأة. فقد ألقى الحجر- إذا كان قد ألقى عمداً بدقة لا يستطيعها إلا رجل..

وثمة ملاحظة أخرى: هي أن مدرسة "فالوفيلد" حيث كانت الأنسة "قمبل" تقع على بعد خمسة وعشرين كيلو متر ونصف تقريباً من هنا... وذلك يوسع دائرة الاحتمالات.

- وبهذه المناسبة... هل تعرف هذه المنطقة جيداً يا سيد "وانستيد"...

- لست أعرف عنها أكثر مما سمعت وأنا أتقصي الحقائق في اليومين الأخيرين.. قيل لي إنها كانت في إحدى الفترات مسرحاً لسلسلة من الجرائم... ولا عجب في ذلك.. فكل منطقة في "إنجلترا" قد اجتاحتها في وقت ما موجة من الجرائم..

كذلك قيل لي إن فتاتين اختفتا من هذه القرية في وقت واحد تقريباً.. إحداهما هي التي وجدت جثتها بعد ستة شهور من اختفائها واتهم "مايكل رافيل" بقتلها..

- والثانية...؟

- والثانية تدعى "فورا بروود".. وكانت لها صلوات بكثير من الفتيان ولم يكن سلوكها فوق الشبهات.. ولم يعثر على جثتها.. ولكن من المؤكد أن الجثة ستظهر يوماً ما.. إنني أعرف قضايا ظهرت فيها الجثة بعد عشرين عاماً.. ها قد وصلنا، هو ذا مستشفى "كاريستاون".

وتبعنا الأنسة "ماربل" الأستاذ "وانستيد" إلى داخل المستشفى، ويبدو أن قدوم "وانستيد" كان متوقفاً، فقد ذهبوا به على الفور إلى غرفة صغيرة يتصدرها مكتب تجلس إليه امرأة في نحو الأربعين من عمرها يبدو أنها رئيسة الممرضات.

ونهدت المرأة لاستقبال الزائرين وهي تقول:

- الأستاذ "وانستيد"!! والسيدة..

فقال "وانستيد":

- هذه الأنسة "جين ماربل" التي تحدثت عنها تليفونياً إلى الأنسة "باركر" الممرضة.

- آه.. إن الأنسة "باركر" تنتظر قدومكما.

- وكيف حال الأنسة "قمبل"...

- يؤسفني أن أقول إنه لم يطرأ عليها تحسن. ساذهب بكما إلى الأنسة "باركر".



كانت الأنسة "باركر" امرأة طويلة نحيفة الجسم ذات صوت خافت حاسم.. وعينين سوداوين نظران إليك بسرعة ثم تنصرفان عنك بطريقة تشعر بأن صاحبتكما قد المت بك تماماً وقومتك في هذه اللحظة القصيرة وأصدرت حكمها عليك.

قال لها "وانستيد":

- إنني لا أعرف الترتيبات التي استقر عليها رأيك .
فاجابت :

- يحسن لي أن أوضحها للآنسة "ماريل" .. إن الآنسة "تمبل" لا تزال في غيبوبة تامة تتخللها لحظات قصيرة من اليقظة والوعي .. وفي هذه اللحظات تفيق إلى نفسها وتتعرف من حولها، وتنطق ببعض كلمات .. ولكن لا توجد هناك أية وسيلة لإيقاظها .. وكل ما نستطيعه هو أن نتذرع بالصبر وننتظر ..
وأنا أتوقع أن يكون الاستاذ "وانستيد" قد انبأك بأنها رددت اسمك في إحدى لحظات يقظتها وقالت : «الآنسة "جين ماريل" .. أريد أن أتحدث إليها» .
ثم راحت في غيبوبة .

وقد نصح الطبيب بالاتصال بالقائمين على الرحلة وجاء الاستاذ "وانستيد" فأوضحنا له الموقف، ووعد بإحضارك .

إن كل ما نرجوه منك الآن هو أن تجلسي في الغرفة الخاصة التي ترقد فيها الآنسة "تمبل" ، وأن تسجلي كل كلمة تنطق بها متى عادت إلى وعيها .

وحيث إنك لست من أقاربها ولن يزعجك النبا، فإنني أقول لك في صراحة ومع الأسف إن الطبيب يعتقد أن حالة الآنسة "تمبل" تتدهور لحظة بعد أخرى .
وأنها قد تموت قبل أن تسترد وعيها . وليس في مقدورنا عمل شيء لإزالة الارتجاج، ومن المهم أن يسمع أحد ما سوف تقول . ويرى الطبيب أنه من الأفضل ألا ترى المريضة أشخاصاً كثيرين حولها إذا استيقظت ؛ حتى لا تنشبت أفكارها ولذلك لن يكون بالغرفة سوى ممرضة سوف تتوارى خلف حاجز بحيث لا تراها المريضة . ورجل شرطة مهمته أن يسجل ما يسمع، وسوف يتوارى كذلك عن عيني المريضة ..

وبذلك لن ترى المريضة عندما تفتح عينيها سوى الشخص الوحيد الذي تنتظره .. فهل يضايقك كثيراً أن تقومي بهذه المهمة .. ؟

فاجابت الآنسة "ماريل" :

- كلا .. بناتاً .. ثم إن لي ذاكرة قوية تستوعب ما أسمع، حتى ولو كان مجرد

همس ولن أكون بحاجة إلى ورق وقلم .

فومضت في عيني الآنسة "باركر" نظرة تنم عن الارتياح وقالت :

- أنا واثقة بأننا نستطيع الاعتماد عليك . أما الاستاذ "وانستيد" فإنه سينتظر بقاعة الاستقبال ؛ لكي نستعين به إذا قضت الضرورة .

والآن .. تعالي معي يا آنسة "ماريل" .

وسارت معها الآنسة "ماريل" في دهليز طويل ينتهي بغرفة صغيرة .. وعلى فراش في هذه الغرفة الخافتة الضوء كانت ترقد "إليزابيث تمبل" .

كانت أشبه بتمثال .. ولكن الناظر إليها لا يشعر بأنها نائمة .

كانت أنفاسها القلقة تتردد في شهقات خافتة . فانحنى الآنسة "باركر" فوقها لتفحصها .. ثم أشارت إلى مقعد بجوار الفراش، فجلست عليه الآنسة "ماريل" ..

وعندما همت الآنسة "باركر" بالانصراف، خرج من وراء حاجز هناك شاب في يده قلم ودفتر مذكرات . فقالت له الآنسة "باركر" في همس :

- هذه أوامر الطبيب .

ثم التفتت إلى الممرضة التي كانت تجلس خلف الحاجز وقالت :

- اطلبيني إذا لزم الأمر وضعي نفسك تحت تصرف الآنسة "ماريل" .

وكان جو الغرفة دافئاً فخلعت الآنسة "ماريل" معطفها ودفعت به إلى الممرضة . وجلست تنظر إلى "إليزابيث تمبل" ولا تتمالك من الإعجاب بقسمات وجهها وارتفاع جبينها وجمال شعرها ..

كانت امرأة وسيمة، وشخصية ممتازة، ومن بواعث الأسف حقاً أن تغيب عن هذه الدنيا .



ومر الوقت ..

عشر دقائق .. عشرون دقيقة .. نصف ساعة .. خمس وثلاثون دقيقة ..

ثم فجأة .. وعلى غير انتظار .. انبعث صوت خافت ولكنه واضح .. صوت خال من الرنين الذي الفتته الأنسة "ماربل" .

قال الصوت :

- الأنسة "ماربل" .

وفتحت "إليزابيث تمبل" عينيها .. ونظرت في غير انفعال أو دهشة إلى وجه المرأة التي تجلس أمامها . ثم قالت :

- هل أنت "جين ماربل" ؟ ..

- نعم .. أنا "جين ماربل" .

- إن هنري حدثني عنك كثيراً .

- "هنري" ؟

- "هنري كليشرنج" .. إنه من أقدم أصدقائي وأكرمهم علي .

- "هنري كليشرنج" ... إنه أيضاً صديقي ..

وعادت بها الذاكرة إلى سنوات مضت . حين عرفت السيد "هنري كليشرنج" وتذكرت خدماتها لها، وخدماتها له .. كان حقاً من أخلص الأصدقاء .

قالت "إليزابيث تمبل" :

- لقد تذكرت اسمك حين قرأت أسماء أعضاء الرحلة .. إن في استطاعتك أن تفعلني شيئاً ... لو كان "هنري" هنا لقال ذلك .. نعم .. إن بوسعك أن تبخشي وأن تفعلني شيئاً .. ذلك مهم .. ومهم جداً .. رغم مرور سنوات عديدة .

وخفت صوتها قليلاً وأغمضت عينيها، فخرجت المريضة من مخبئها، وقربت كوباً من شفتي الأنسة "تمبل"، فارتشفت هذه جرعة .. ثم أشاحت بوجهها، فرفعت المريضة الكوب وعادت إلى مقعدها .

قالت الأنسة "ماربل" :

- سأبذل قصارى جهدي وأعمل ما أستطيع عمله .

- حسن .. حسن ..

وأغمضت عينيها مرة أخرى، وبدت كأنها نائمة . أو في غيبوبة ..

ولكنها عادت ففتحت عينيها فجأة وقالت :

- من هي .. ؟ ذلك ما يجب معرفته .. هل فهمت ماذا أعني .. ؟

- أظن ذلك .. إنك تعنين فتاة ماتت .. فتاة تدعى "نورا بروود" .. ؟

فقطبت "إليزابيث" جبينها وقالت :

- كلا .. كلا .. كلا .. الفتاة الأخرى . "فيريتي هانت" .

وصمتت لحظة ثم قالت :

- "جين ماربل" .. إنك تقدمت في السن عما كنت عندما حدثني "هنري"

عنك . ولكن مازال في مقدورك أن تبخشي .. اليس كذلك ؟

وارتفع صوتها وزاد إلحاحاً وهي تقول :

- تكلمي .. قولني إن ذلك في مقدورك .. إن الوقت ضيق .. وأنا أشعر بذلك ..

ابخشي .. ربما تتعرضين للخطر ولكنك ستنجحين ..

- سأبحث .. وليشد الله أوزري .

كان ذلك عهداً وقسماً ..

فتنهدت "إليزابيث تمبل" بارتياح، وأغمضت عينيها ثم فتحتهما، وارتسم

على شفيتها شبه ابتسامة .. همست بعد قليل :

- تلك الصخرة التي انحدرت من على ... صخرة الموت ..

- من الذي ألقاها .. ؟

- لا أعلم .. ذلك لا أهمية له .. المهم هو "فيريتي" .. ابخشي عن الحقيقة ..

ولاحظت الأنسة "ماربل" استرخاء جسدها على الفراش، وسمعتها تهمس

بصوت خافت :

- وداعاً .. ابذلي قصارى جهدك .

وأغمضت الأنسة "تمبل" عينيها، فهرعت إليها المريضة وجست نبضها .. ثم

ابتعدت وأشارت إلى الأنسة "تمبل" أن تتبعها إلى الخارج فاطاعت .

وهناك قالت المريضة :

- إنها بذلت مجهوداً كبيراً .. ولن تعود إلى وعيها قبل وقت طويل ..
وقد لا تعود إطلاقاً .. أرجو أن تكوني قد عرفت منها شيئاً ..
- لا اعتقد ذلك .



وسالها "وانستيد" وهما في طريقهما إلى السيارة:

- هل قالت لك شيئاً ..؟

- إنها ذكرت اسماً .. "فيريتي" .. هل هو اسم الفتاة ..؟

- نعم .. "فيريتي هانت" .

ومامت "إليزابيث تمبل" بعد ساعة ونصف الساعة دون أن تفيق من غيبوبتها .

الفصل الرابع عشر

"فيريتي"

قالت الأنسة "ماربل" فجأة، وبصوت واضح، وهي تعمل بإبرتها:

- "فيريتي" !!

كانت "إليزابيث تمبل" قد ماتت في هدوء في الليلة السابقة، وتحددت الساعة الحادية عشرة من صباح اليوم التالي لتحقيق حادث مصرعها، ووافق أعضاء الرحلة على حضور جلسة التحقيق، وقرر بعضهم البقاء للاشتراك في القداس الذي سيقام في الكنيسة .

وذهبت "لافينيا" إلى الفندق وألحت على الأنسة "ماربل" لكي تعود للإقامة في البيت القديم إلى أن يحين موعد الرحيل .

قالت لها:

- إن إقامتك معنا ستجنبك مضايقات رجال الصحافة ..

ووافقت الأنسة "ماربل" خاصة وأن أكثر زملائها عدلوا عن مواصلة الرحلة وقرروا

العودة إلى "لندن" .

وبينما كانت تعمل بإبرتها في قاعة الاستقبال بعد أن تناولت القهوة مع الشقيقات الثلاث . تذكرت آخر شيء نطقت به "إليزابيث تمبل" قبل موتها وألقت به فجأة وسط الشقيقات كما تلقي بحجر في بحيرة هادئة . ونظرت حولها بسرعة لترى رد الفعل ..

كانت "لافينيا" تقرأ كتاباً فتركته على الفور ونظرت إلى الأنسة "ماربل" في دهشة .

ورفعت "كلوتيلد" رأسها بغتة .. وانحنى إلى الامام ونظرت .. لا إلى الأنسة "ماربل" وإنما إلى النافذة ..

ورغم أن الأنسة "ماربل" أسدلت أهدابها حتى تبدو وكأنها لا ترى ما حولها .. إلا أنها لاحظت أن الدموع ملأت عيني "كلوتيلد" وسالت على خديها .. وأن "كلوتيلد" لم تحرك ساكناً لمسحها، ولم تنطق بكلمة .

أما "أنثيا" فإن رد الفعل بالنسبة إليها كان سريعاً وواضحاً وينم عن السرور والارتياح .

هتفت قائلة:

- "فيريتي" ..؟ هل قلت "فيريتي" ..؟ هل كنت تعرفينها ..؟ هل تعنين "فيريتي هانت" ..؟

فقالت الأنسة "ماربل":

- إنني لم أعرف قط أحداً بهذا الاسم ..

وتركت إبرتها وأجالت البصر حولها وارتسمت في عينيها نظرة اعتذار كمن يدرك أنه ارتكب غلطة جسيمة لا يعرف كنهها ..

قالت:

- إنني آسفة .. هل قلت شيئاً لم يكن يجب أن أقوله ..؟ فقالت "لافينيا":

- كلا .. كلا .. إنما اتفق أننا نعرف هذا الاسم .

فقالت الأنسة "ماربل" معتذرة:

- إنه مر بخاطري .. وكنت قد سمعته أمس من الأنسة "قميل" .. كانت في غيبوبة فذهب بي الاستاذ "وانستيد" إليها في المستشفى؛ ظناً منه أنني أستطيع أن أرفع من روحها المعنوية .. ليس لأنني كنت صديقتها في أي وقت .. وإنما لأننا كنا نجلس معاً ونتجاذب أطراف الحديث خلال الرحلة .. ولكني للأسف لم أستطع أن أفيدها بشيء .. فقد جلست بجوار فراشها وانتظرت . وسمعتها تنطق بكلمة أو كلمتين لا معنى لهما . وأخيراً فتحت عينيها ونظرت إليّ طويلاً .. ولعلها ظننتني شخصاً آخر ثم نظقت باسم "فيريتي" .. وقد رسبت هذه الكلمة في ذهني خاصة وأنها أسلمت الروح بعد ذلك .. فهل لكلمة "فيريتي" معنى آخر غير الحقيقة ..؟

قالت ذلك وراحت تنقل بصرها بين "لافينيا" و"كلوتيلد" و"أنثيا" فقالت "لافينيا":

- إنه اسم فتاة كنا نعرفها .. ولذلك بهتنا .

وقالت "أنثيا":

- خصوصاً وأنها مانت مينة مخيفة .

فقالت "كلوتيلد":

- "أنثيا" .. لا ضرورة لهذه التفاصيل .

فقالت "أنثيا" وهي تنظر إلى الأنسة "ماريل":

- إنها تفاصيل يعرفها الجميع .. وكنت أظنك تعرفينها بحكم صلتك بالسيد "رافيل" .. إنه كتب إلينا عنك ففهمت أنك لا بد تعرفينه .. وأنه ربما روى لك القصة كلها .

فقالت الأنسة "ماريل":

- أنا آسفة .. إذ لم أفهم شيئاً مما تقولين .

فقالت "أنثيا":

- لقد وجدت جثتها في حفرة ..

كان من الواضح أن "أنثيا" متى انطلقت، فلا أحد يستطيع إسكاتها ..

ولاحظت الأنسة "ماريل" أن كلام "أنثيا" يشد أعصاب "كلوتيلد" التي ما

لبثت أن أخرجت منديلها وجففت دموعها ثم اعتدلت في جلستها وقالت وفي عينيها حزن عميق:

- إن "فيريتي" هو اسم فتاة كانت تقيم معنا وكنت أحبها من كل قلبي .

فقالت "لافينيا":

- وهي أيضاً كانت تحبك .

قالت "كلوتيلد":

- كان أبواها صديقي، وقد ماتا في حادث طائرة .

فقالت "لافينيا":

- وكانت تتلقى العلم في مدرسة "فالوفيلد" ولعل ذلك هو السبب في أن الأنسة "قميل" تذكرتها .

فهتفت الأنسة "ماريل":

- آه .. فهمت .. كانت الأنسة "قميل" ناظرة تلك المدرسة .. اليس كذلك؟

فقالت "كلوتيلد":

- بلى .. وكانت "فيريتي" من تلميذاتها . فلما مات أبواها جاءت إلى هنا للإقامة معنا ربما تتخذ قراراً بشأن مستقبلها .. كانت وقتئذ في الثامنة عشرة من عمرها .. فتاة حلوة .. دمنة الخلق، ممتلئة عطفاً وحناناً .. وقد فكرت في أن تشتغل بالتمريض، ولكنها كانت على جانب عظيم من الذكاء فاصرت الأنسة "قميل" على ضرورة دخولها الجامعة .. وكانت تستعد لذلك حين وقع الحادث الرهيب ..

قالت ذلك وأشاحت بوجهها وأردفت:

- حينذا ترك الحديث في هذا الموضوع الآن ..

فهتفت الأنسة "ماريل":

- طبعاً .. طبعاً .. كم أنا آسفة على أنني أثرت هذه الذكريات المؤلمة .. الواقع

أنني لم أكن أعلم .. أعني أنه لم يبلغني ...

وأرجع عليها القول فلاذت بالصمت .

ولكنها علمت المزيد في المساء، فقد جاءتها "لافينيا" وهي تستبدل ثيابها

استعداداً للذهاب إلى الفندق وقالت لها:
- لقد خطر لي أن أوضح لك موضوع "فيريتي هانت" .. وطبيعي أنك كنت تجهلين مبلغ حب "كلوتيلد" للفتاة، وهول الصدمة التي أصابتها عقب مصرعها ..
إننا نتجنب الحديث عن الفتاة ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، وستدركين السبب متى أوضحت لك الحقائق.

يبدو أن الفتاة قد اتصلت دون علمنا بشاب غير مرغوب فيه ظهر فيما بعد أنه شخص خطر له سجل حافل .. وكان هذا الشاب قد جاء لزيارتنا؛ لأننا نعرف أباه جيداً ..

وصممت "لافينيا" قليلاً ثم قالت:

- أظن أنه يحسن بي أن أذكر لك الحقيقة كلها. كان هذا الشاب في الواقع هو ابن السيد "رافيل" .. واسمه "مايكل" ..

- أحقاً ..؟ لقد سمعت فعلاً أن للسيد "رافيل" ابناً سيئ السلوك.

- بل هو أكثر من ذلك .. إنه لص ومزور وذئب أعراض، وقد حوكم أكثر من مرة بتهمة الاعتداء على الفتيات.

كانت أمه صديقتنا ولعل من حسن حظها أنها ماتت في مقتبل العمر فلم تر الهوة التي تردى فيها ابنها ..

وقد فعل السيد "رافيل" ما يستطيع من أجل ابنه، فأوجد له أعمالاً تناسبه ..
ودفع الغرامات التي حكم عليه بها. واستخدم أبرع المحامين للدفاع عنه في المحاكم ..

وذاث يوم، خرجت "فيريتي" لزيارة إحدى صديقاتها ولم تعد.

أبلغنا البوليس، فبحثوا عنها في كل مكان ولكنهم لم يقموا لها على أثر ..

أعلننا في الصحف عن فقدانها .. وأذاع البوليس نشرة بأوصافها ..

وكان رجال البوليس قد بدءوا يراقبون "مايكل" .. لاشتباهم في أن له يداً في سلسلة الجرائم التي حدثت في المنطقة في تلك الفترة .. ولكنهم لم يتوصلوا إلى دليل حاسم يدينه ..

وراجت في هذه الاثناء إشاعة بأن "فيريتي" شوهدت مع شاب يشبه "مايكل" .. وفي سيارة كسيارته .. ولكن لم يقم دليل على صدق هذه الإشاعة .. إلى أن وجدت جثة الفتاة بعد ستة شهور من اختفائها في بقعة مهجورة على بعد ثية وأربعين كيلومتراً.

وذهبت "كلوتيلد" لتعرفها عليها، وعرفت ما رغم التشويه الذي أصاب وجهها .. عرفت ما من علامات في جسدها، ومن ثيابها ومن محتويات حقيبتها .. وكانت صدمة قاسية لها لم تبرا منها أبداً ..

وكانت الأنسة "تمبل" أيضاً مشغوفة بالفتاة .. ولا بد أنها تذكرتها حين رددت اسمها وهي تلفظ أنفاسها.

الفصل الخامس عشر

التحقيق

سارت الأنسة "ماريل" في طريقها إلى المحكمة؛ لمتابعة جلسة التحقيق في حادث مصرع "إليزابيث تمبل".

نظرت في ساعتها ووجدت أنها تستطيع أن تقضي نحو عشرين دقيقة في مشاهدة معروضات المتاجر بالشارع الرئيسي قبل أن يحين موعد انعقاد المحكمة. فدخلت متجراً للخياط والملابس الصوفية. وطلبت إلى صاحبه - وهي سيدة عجوز - لقافة من الخيوط ذات اللون الوردى، تضارع تلك التي كانت تحيكها، فعرضت عليها السيدة بضعة نماذج ووجدت بينها الأنسة "ماريل" بغيتها.

ولاحظت صاحبة المتجر أن العميلة غريبة عن المنطقة، وأنها لابد أن تكون من أعضاء الرحلة، وكان من الطبيعي أثناء العرض والبحث والمقارنة بين ألوان الصوف أن يدور الحديث حول الموضوع الذي يجري على السنة الناس في القرية، وهو موضوع الحادث المؤلم الذي وقع عند سفح التل، وفهمت الأنسة "ماريل" مما ذكرته صاحبة المتجر أنه ليس الحادث الأول من نوعه، وأن ثلاثة أو أربعة أشخاص ذهبوا

من قبل ضحية انهيار الصخور من فوق التل . وأن الناس في القرية يعززون هذه الحوادث إلى الامطار والسيول التي تخلي ما بين الصخور من رمال فتزعزعها وتضعف تماسك بعضها ببعض فتنهار .

وفي نهاية الحديث ، دفعت الأنسة "ماريل" ثمن الخيوط التي ابتاعتها وتظاهرت بالانصراف ولكنها ما إن بلغت الباب حتى عادت أدراجها كمن تذكر أمراً وقالت :

- هل أجد عندك قميصاً من الصوف لابن أخي؟ أعني قميصاً ذا ياقة مرتفعة واللوان صارخة من النوع الذي يرتديه الشبان في هذه الأيام؟ وحبذا لو كانت نقوشه على شكل مربعات حمراء وسوداء .. فعرضت عليها صاحبة المتجر مجموعة من القمصان المتعددة الالوان وقالت إنه لا يوجد لديها ولم يرد إليها قط اقمصة ذات مربعات حمراء وسوداء .

وراحت الأنسة "ماريل" تفحص الاقمصة ثم قالت كأنما عرضاً :

- بمناسبة حادث التل .. يخيل إلي أن هذه المنطقة منكوبة بالحوادث المفجعة ، فقد قرأت مرة عن سلسلة من جرائم القتل ذهب ضحيتها عدد من الفتيات .. فهتفت صاحبة المتجر :

- آه .. هذا صحيح .. كان ذلك منذ بضعة أعوام وقد قبضوا على المجرم ، وهو شاب وسيم ظريف كان يبدو فوق الشبهات ، ثم ثبت أن له سجلاً حافلاً رغم أنه ينتمي إلى أسرة كريمة ، وأن أباه رجل واسع الثراء .

وقد حامت الشبهات في البداية حول عدد من الشبان ، ثم أطلق سراجهم وأخيراً عثروا على جثة فتاة ظنوا أنها "نورا بروود" ، التي اشتهرت بمغامراتها مع الشبان .

- ألم تكن جثتها ..؟

- كلا .. جثة فتاة أخرى اختفت في نفس الفترة ..

- ألم يعثروا على جثة "نورا بروود" ..؟

- كلا .. ربما يعثرون عليها يوماً ما ، ولكن الرأي السائد أنها ألقيت في النهر .

- والفتاة الأخرى ..؟ أعني الفتاة التي وجدت جثتها ..؟

- الفتاة الأخرى ..؟ آه .. نعم .. إن اسمها لا يحضرني الآن .. لكنها كانت

تقيم في البيت القديم منذ مصرع أبويها في حادث طائرة ..

- هل كان لها أقارب في ذلك البيت؟

- لا أعلم .. ولكن يبدو أن الأنسة "كلوتيلد" كانت صديقة لامها .. وكانت "كلوتيلد" مدلهة بحب الفتاة . وقد تحطم قلبها عندما اختفت .. بخلاف الأنسة "أنثيا" ..

- الأنسة "أنثيا" هي الأخت الصغرى فيما اعتقد؟

- نعم .. وهي فتاة غريبة الأطوار .. تتحدث إلى نفسها وتحرك رأسها بطريقة غريبة .. والاطفال يخافونها ويفرون من طريقها ..

- والأنسة "كلوتيلد" .. أهي غريبة الأطوار أيضاً ..؟

- كلا .. إنها ذكية وبارعة .. وتعرف اللاتينية واليونانية .. وكانت تحب تلك

الفتاة وتعاملها كابنتها .. إلى أن جاء ذلك الشيطان المدعو ماذا كان اسمه ..؟ آه .. كان اسمه "مايكل" فيما اعتقد .. ولكني لا أظن أن الأنسة "كلوتيلد" كانت تعلم أن الفتاة حامل .

- وهل كنت أنت تعلمين؟

- إن للحمل علامات لا تخطئها العين ..

وودعتها الأنسة "ماريل" وانصرفت .. وعرجت على مكتب البريد حيث ابتاعت بعض الطوابع .

وكان المكتب خالياً من العملاء ، فقالت لموظفة البريد :

- هل يضايقك أن أسألك معروفاً؟ يبدو أنني أصبحت في الفترة الأخيرة كثيرة الخطأ والنسيان .. بسبب السن طبعاً .. لقد أرسلت طرداً يحتوي على بعض الملابس الصوفية إلى إحدى المؤسسات الخيرية .. ولكني اكتشفت صباح اليوم أنني أخطأت العنوان .. فهل لديك قائمة بعناوين الطرود التي ترسل من هذا المكتب ..؟ إن العنوان الذي أردت إرسال الطرد إليه هو (الجمعية الخيرية لعمال أحواض السفن) .

فنظرت موظفة البريد إلى محدثتها طويلاً ، وارتسمت على شفيتها ابتسامة

عطف وإشفاق . قالت :

- هل أحضرت ذلك الطرد بنفسك ؟

- كلا .. إنني أقيم في البيت القديم .. وقد تفضلت إحدى الشقيقات وأظنها
الآنسة "كلوتيلد" بإحضاره .

- كان ذلك يوم الثلاثاء فيما اعتقد . إن التي أحضرت الطرد هي الآنسة
"أنثيا" .. الأخت الصغرى .

- نعم .. نعم .. أظن ذلك .

فقالت الموظفة وهي تبحث في دفتر أمامها :

- كان طرداً متوسط الحجم فيما أذكر .. أما العنوان الذي أرسل إليه فهو (جمعية
"إيستهام" لمساعدة النساء والأطفال) .

- ما أشد غيائي .. لقد خلطت بين الجمعيتين .. هل أستطيع أن أصحح
العنوان .. ؟

- ذلك مستحيل .. فقد أرسل الطرد فعلاً ..

- لا بأس .. ساكتب إلى الجمعية لتحويله إلى العنوان المقصود .. شكراً جزيلاً
لك ..

وغادرت الآنسة "ماربل" مكتب البريد لتجد نفسها وجهاً لوجه أمام "أملين
برايس" و"جوانا كروفورد" ، ولاحظت أن الفئاة شديدة الامتقاع .

قالت "جوانا" :

- إنني خائفة .. فقد طلبت للإدلاء بأقوالي . ولا أعرف الأسئلة التي سيلقونها
علي .. إنني ذكرت لرجل الشرطة كل ما أعرفه .

فقال "أملين برايس" :

- لا تنزعجي يا "جوانا" .. إنه التحقيق الابتدائي .. ويتولاه عادة أحد
الاطباء .. سيلقي عليك بعض الأسئلة وستروين له ما رأيته .

- ولكنك أيضاً رأيته ما رأيته .

- نعم .. إنني رأيته شخصاً فوق التل .

- لقد ذهبوا إلى الفندق وفتشوا امتعتنا ..

فقالت الآنسة "ماربل" :

- لا بد أنهم كانوا يبحثون عن قميص ذي مربعات سوداء وحمراء .. فلا
تنزعجي .. إذ لو كان لديك مثل هذا القميص لما تحدثت عنه .

فقال "أملين برايس" :

- أنا شخصياً لا أستطيع تمييز الألوان جيداً .

فقالت "جوانا" :

- إنهم لم يجدوا بين أمتعة الركاب قميصاً بهذه الصفة وهل رأيت أنت أحدهم
يرتدي مثل هذا القميص .. ؟

- لا أظن .. ثم إنني ما كنت لأتبينه لو أنني رأيته .. فانا لا أستطيع التمييز بين
الأخضر والأحمر ..

فقالت "جوانا" :

- آه .. لقد نسيت أنك مصاب بعمى الألوان .

كان الدكتور "ستوكس" - الذي تولى التحقيق - رجلاً في الحلقة الرابعة من
عمره قد وخط الشيب شعره ..

استمع أولاً إلى تقارير رجال الشرطة .. ثم إلى التقرير الطبي عن الإصابة وارتجاج
المخ .. اللذين نجمت عنهما الوفاة .

وأدلت السيدة "ساندهورن" بشهادتها عن الرحلة والحادث فقالت إن "إليزابيث
تمبل" كانت موفورة النشاط رغم بلوغها سن الستين .. وإنها كانت تتقدم زملاءها

بمسافة طويلة في الممر المألوف المؤدي إلى القمة عندما وقع الحادث .

- هل تعتقدون أنه حادث عرضي وقع قضاء وقدرًا ؟

- نعم .. إنه لا يمكن أن يكون غير ذلك .

ثم جاء دور "جوانا كروفورد" فذكرت اسمها وسنها ، وسألها الدكتور
"ستوكس" :

- هل كنت تسيرين مع أعضاء الرحلة ؟

- كلا... كنت أسلك طريقاً جانبياً غير الممر المألوف .
- هل كان معك أحد؟
- نعم... السيد "أملين برايس".
- هل سرتما معاً بعيداً عن الآخرين؟
- نعم.. أغلب الوقت.
- وهل رأيت الآنسة "تمبل"؟
- نعم.. كانت تسبق الآخرين ورأيتها تنحرف في إحدى الزوايا.. وتخفي عن بصري تماماً..
- وهل رأيت أحداً فوق قمة التل..؟
- نعم.. رأيت شخصاً منحنياً خلف صخرة ضخمة عند الحافة وهو يحاول زحزحتها من مكانها.
- هل كان الشخص رجلاً أم امرأة؟
- لا أستطيع أن أجزم... ربما كان رجلاً.. وربما كان امرأة.. ولكن من المؤكد أنه كان يرتدي قميصاً من الصوف ذا باقة مرتفعة.
- وماذا كان لون القميص؟
- كان منقوشاً بمربعات سوداء وحمراء زاهية اللون. وكان الشخص يضع على رأسه (بيريه) يتدلى من تحته شعر طويل قد يكون شعر رجل أو امرأة.
فقال الدكتور "ستوكس":
- من المؤكد أن تعرف الرجل أو المرأة من شعر الرأس أمر متعذر في هذه الأيام..
وماذا حدث بعد ذلك؟
- هبط الحجر من فوق القمة وتدرج أولاً ببطء ثم زادت سرعته وسمعنا صوت انقضاؤه وخيل إليّ أنني سمعت في ذات الوقت صرخة... ولكنني لست واثقة بذلك.
- ثم...؟
- أسرعنا نحو أحد الأركان ورأينا الحجر في الممر وتحت شخص..

- هل صدرت تلك الصرخة من الآنسة "تمبل"؟
- أظن ذلك.. كان الموقف رهيباً.
- وماذا حدث للشخص الذي رأيت في قمة التل..؟ أعني الرجل أو المرأة ذات القميص الأحمر والأسود..؟ هل بقي ذلك الشخص في مكانه؟
- لا أعلم... فقد كنت أنظر إلى مكان الحادث وأهرول نحوه؛ لارى إذا كان بوسعي أن أفعل شيئاً.
- هل يمكن أن يكون ذلك الشخص أحد أعضاء الرحلة؟
- كلا... إنني واثقة بذلك إذ لم أر بين أعضاء الرحلة من يرتدي مثل ذلك القميص.
- شكراً لك يا آنسة "كروفورد".
ودعي "أملين برايس" للشهادة فلم تختلف أقواله عن أقوال "جوانا"..
وأخيراً قرر الدكتور "ستوكس" أنه لا توجد أدلة كافية توضح ما إذا كان الحادث متعمداً أو قضاء وقدرًا، وأرجا القضية أسبوعين.

الفصل السادس عشر

زيارة

- غادر الجميع قاعة الجلسة في صمت، وسار أعضاء الرحلة في طريقهم إلى الفندق وكانوا يسرعون الخطى، فتخلفت الآنسة "ماربل" وتخلف معها الاستاذ "وانستيد".
سألته أخيراً:
- ماذا يحدث الآن..؟
- للقضية..؟
- نعم.
- سوف يتولاها رجال الشرطة للقيام بمزيد من التحريات على ضوء الشهادة التي

أدلى بها الشابان .. فليس في وسع الدكتور "ستوكس" بعد هذه الشهادة أن يصدر قراراً بأن الحادث وقع قضاء وقدرًا.

ووصلوا إلى الفندق في منتصف الساعة الواحدة. واقترحت السيدة "ساندبورن" تناول بعض العصير قبل الغداء، ثم قالت:

- لقد فهمت من الدكتور "ستوكس" ومن مفتش البوليس أن بوسعنا أن نستأنف الرحلة ... ستدفن الأنسة "تمبل" في الساعة الحادية عشرة قبل ظهر غد وقد اتفقت مع قس القرية بشأن الجنائز ... والرأي عندي أن نستأنف الرحلة بعد غد ..

سيطراً على البرنامج بعض التعديل بطبيعة الحال، وقد علمت من بعض الأعضاء أنهم يفضلون العودة إلى "لندن"، وأنا أفهم شعورهم ولن أحاول التأثير عليهم ... إن ما حدث يدعو إلى الأسف، وما زلت أعتقد أنه حدث قضاء وقدرًا .. وقد سبقته أحداث مماثلة في نفس المكان ... ومهما يكن من أمر فإن السلطات المحلية المختصة سوف تواصل التحقيق، ولذلك أقترح أن نكف عن مناقشة الحادث والتعقيب عليه. وأرجو أن يساعد استئناف الرحلة على صرفكم عن التفكير فيه.



وبعد الغداء، انتقل "وانستيد" والأنسة "ماربل" إلى شرفة الفندق وقال الأول:

- هل ستواصلين الرحلة يا آنسة "ماربل" ..؟

فاجابت:

- كلا .. وأظن أن ما حدث سيحملني على البقاء هنا بعض الوقت. وثمة بعض

تجربات أود أن أقوم بها ... وأنت ..؟

- يجب أن أعود إلى "لندن"، فلدي أعمال هناك اللهم إلا إذا رأيت أنني

أستطيع أن أفيدك هنا بشيء.

- كلا .. في استطاعتك أن ترحل إذا شئت.

- إنني لم أشارك في هذه الرحلة إلا لأقابلك يا آنسة "ماربل" ..

- وما نحن قد تقابلنا وأفضيت إليك بما أعلم.

- هل تشعرين بأن الجو ما يريب ... وأن بقاءك هنا ضروري ..؟

- نعم ... خاصة بعد مصراع الأنسة "تمبل" الذي أعتقد أنه لم يكن مجرد

حادث عرضي ... رغم كل ما قالته السيدة "ساندبورن" .. وثمة أمر أظن أنني لم

أذكره لك من قبل .. لقد قالت لي الأنسة "تمبل" مرة أن رحلتها هذه كانت رحلة

حج ..

- ألم تغل لك إلى أين ..؟ أو لمن ..؟

- كلا ... ولو امتد عمرها قليلاً واستطاعت الكلام لصارحتني ... ولكن من

سوء الحظ أن الموت دهمها بسرعة.

- وما رأيك أنت ..؟

- رأيي أن شخصاً شريعاً تعتمد أن ينهي رحلتها قبل أن تصل إلى المكان الذي

تقصد إليه ... أو إلى الشخص الذي تريد مقابلته.

- لهذا قررت البقاء ..؟

- بل يوجد سبب آخر .. فهأنسي أريد أن أعرف المزيد عن فتاة تدعى "نورا

برود".

فنظر إليها في دهشة وردد:

- "نورا برود" ..؟

- إنها فتاة اختفت في نفس الوقت مع "فيرويتي هانت" .. وأذكر أنك حدثتني

عنها ... كانت فتاة منحرفة سيئة السيرة ... كان لها أكثر من صديق.



شهد الجنائز - عدا أعضاء الرحلة - أشخاص كثيرون رأوا الأنسة "ماربل" بينهم

"لافينيا" و"كلوتيلد" وشخصين أو ثلاثة من أهل القرية يغلب على الظن أنهم

جاءوا بدافع الفضول بسبب ما أشيع من أن الحادث لم يكن قضاء وقدرًا.

وكان هناك أيضاً قس يناهز السبعين من العمر تبدو عليه مظاهر الضعف والمرضى وقد رجحت الآنسة "ماريل" أنه صديق قديم للآنسة "قمبل"، وأنه ربما قد جاء من مكان بعيد خصيصاً لحضور الجنازة.



وبعد مغادرة الكنيسة... تحدثت الآنسة "ماريل" مع زملائها وعرفت ماذا يفعل كل منهم... عرفت أن "بتلر" وزوجته سيعودان إلى "لندن" وكذلك السيد "كاسبار"، أما الكولونيل "ووكو" وزوجته، والآنسة "لوملي" وصديقتها الآنسة "بنتهام" وكذلك السيدة "بورتر" والمهندس "جيمسون"، فإنهم قرروا مواصلة الرحلة...

بقيت الصديقتان، الآنسة "بارو" .. والآنسة "كوك".

كان ترددهما واضحاً إلى أن حسمته الآنسة "بارو" بقولها:

- إن المناظر الطبيعية هنا رائعة... وأظن أننا سنبقى في الفندق بعض الوقت... أو ليس هذا ما ستفعلينه أنت أيضاً يا آنسة "ماريل"؟

- أظن ذلك... فليست لدي المقدرة على الرحيل واعتقد أن راحة يومين أو ثلاثة أيام هنا ستفيدني كثيراً بعد ما حدث.



وسار كل في طريقه، وانحرفت الآنسة "ماريل" في شارع جانبي... وأخرجت من حقيبتها ورقة كانت قد سجلت عليها عنواناً، وبعد قليل كانت تدق باب بيت صغير جميل في نهاية الشارع قبل انحداره نحو المزارع.

فتحت الباب سيدة ضئيلة الجسم فسألته الآنسة "ماريل":

- هل أنت السيدة "بلاكيت"؟

- نعم يا سيدتي... ذلك هو اسمي...

- أريد أن أتحدث إليك دقيقة أو دقيقتين فهل أستطيع الدخول...؟ إنني متعبة

قليلاً وأشعر بدوار.

- ادخلي يا سيدتي... وتفضلي بالجلوس... هل أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلك؟

- كلا... شكراً... حسبي كوب ماء...

وعادت إليها السيدة "بلاكيت" بكوب ماء... وبحديث طويل عن قريب لها تعثره نوبات من الدوار تلقيه أرضاً في بعض الأحيان...

وبعد أن فرغت من حديثها قالت الآنسة "ماريل":

- قبل لي إنك عمّة فتاة تدعى "نورا بروود"... فهل تعلمين أين أجدها...؟

- لماذا...؟

فاجابت الآنسة "ماريل" كذباً:

- إن قريبة لي في "كندا" كانت مع "نورا" في المدرسة، ويبدو أنها وجدت لها عملاً في "كندا".

فهزت السيدة "بلاكيت" رأسها ببطء وقالت:

- نعم... إن "نورا" ابنة أخي حقاً... ولكنها اختفت منذ وقت طويل... خرجت

ذات يوم ولم تعد... كانت فتاة حمقاء لا تصلح لشيء... وقد أشيع أنها قتلت... ولكنني لا أصدق ذلك... خاصة وأنهم لم يجدوا جثتها.

- وهل كانت متقدمة في دراستها...؟

- أبداً... كانت خاملة... ولا هم لها إلا مصاحبة الشبان، وأكبر الظن أنها

هربت مع أحدهم... وإني أتوقع أن تعود ذات يوم بعد أن تكون قد تعلمت درساها، واكتشفت خداع كل الوعود المعسولة التي تسمعها من الشبان.

- ألم يكن هنا من تستطيع الذهاب إليه عدا أسرتها...؟

- بل يوجد كثيرون كانوا يعطفون عليها... هناك مثلاً أهل البيت القديم...

وخاصة الآنسة "كلوتيلد" التي طالما أخلصت لها النصيحة... وقدمت إليها الكثير من الهدايا والشياب... ولكن الفتاة كانت تضرب بالنصائح عرض الحائط

وتهرع إلى كل شاب يشير إليها بإصبعه...

أعلم أنه لا يجدر بي - وأنا عمتها - أن أقول كلاماً كهذا ولكنها الحقيقة.

- وهل أبلغتم الشرطة عن اختفائها؟ ..

- طبعاً... ولكنهم لم يصلوا إلى نتيجة... لقد ذهبت الفتاة دون أن تترك كلمة.. وقيل إنها ركبت سيارة أحد الشبان ولم يرها أحد بعد ذلك. أما أنا فاعتقد أنها الآن في "لندن" أو في مدينة كبرى أخرى حيث تعرض الفتيات مفاتهن من أجل المال..

- هل كانت جميلة؟ ..

- بل كانت من أجمل فتيات القرية... وكانت مفتونة بشعرها الأسود الطويل الجميل.

فقالت الأنسة "ماربل" وهي تهتم بالانصراف:

- لا شك في أن قريبتني في "كندا" تجهل كل هذه الحقائق عنها... شكراً يا سيده "بلاكيت"، ومعذرة عما أضعت من وقتك.

الفصل السابع عشر

القس

عندما عادت الأنسة "ماربل" إلى الفندق وهي لاهثة الأنفاس من التعب، هرعت إليها موظفة الاستقبال في الفندق قائلة:

- يوجد هنا شخص يريد مقابلتك يا آنسة "ماربل"... إنه القس "بربازون"... فبدت الدهشة على وجه الأنسة "ماربل" ورددت:

- القس "بربازون"؟ ..

- نعم... قال إنه بحث عنك وعلم أنك في الرحلة، ويريد أن يتحدث إليك قبل أن تعودني إلى "لندن" مع العائدين وقد أجلسته في بهو (التليفزيون) بعيداً عن الضوضاء.

فقصدت الأنسة "ماربل" إلى البهو الذي ذكرته لها موظفة الاستقبال، ووجدت

أن القس "بربازون" هو نفس القس العجوز الذي رآته في الكنيسة في الصباح..

ونفض الرجل واقفاً حالما رآها وقال وهو يقترب منها:

- الأنسة "جين ماربل"؟ ..

- نعم... ذلك هو اسمي... هل أردت..

- أنا القس "بربازون"... وقد جئت صباح اليوم للاشتراك في جنازة صديقة

عزيزة هي الأنسة "إليزابيث تمبل".

- أحقاً؟ تفضل بالجلوس.

فجلس وقال:

- يجب أن أوضح لك سبب قدومي... الواقع أنني مررت بمستشفى

"كاريستاون" وتحدثت إلى كبيرة الممرضات قبل ذهابي إلى الكنيسة... وهي التي

قالت لي إن "إليزابيث" طلبت قبل موتها مقابلة إحدى أعضاء الرحلة واسمها

الآنسة "جين ماربل"، وإن الأنسة "ماربل" زارتها وجلست معها فترة قصيرة قبيل

الوفاة.

قال ذلك ونظر إلى الأنسة "ماربل" بقلق، فقالت:

- هذا صحيح... وقد أدهشني أن ترسل الأنسة "تمبل" في طلبي.

- هل أنت إحدى صديقاتها؟

- كلا... إنما قابلتها لأول مرة في هذه الرحلة. وذلك مبعث دهشتي. لقد

تحدثنا معاً وتعارفنا... ولكنني لم أتوقع أن ترسل في طلبي وهي مريضة.

- الواقع.. أنها جاءت في هذه الرحلة لزيارتي. إنني أقيم في "فيلمنستر" التي

كان مقرراً أن تصل إليها سيارة الرحلة بعد غد... كانت زيارتها لي أمراً متفقاً

عليه بيننا، فقد أرادت التحدث إلي في أمور تهتمها..

- هل لي أن ألقى عليك سؤالاً؟ ..

- سلي ما تشائين يا آنسة "ماربل".

- كان مما قالت لي الأنسة "إليزابيث تمبل" إنها لم تشترك في هذه الرحلة

للمتعة... وإنما بالنسبة إليها أشبه برحلة حج.

- هل قالت لك ذلك؟ هذا كلام له مغزاه .
- إن ما أريد أن أسألك عنه الآن ... هو ... هل تعتقد أن رحلة الحج التي تكلمت عنها هي زيارتك؟ ..
- أظن ذلك .
- لقد دار الحديث بيني وبينها عن فتاة تدعى "فيريتي" .
- آه .. نعم .. "فيريتي هانت" .. إنها ماتت منذ سنوات عديدة .. فهل تعلمين ذلك ..؟
- نعم .. ولكن الأنسة "قمبل" حدثتني عن أشياء لم أكن أعلمها . قالت إن الفتاة كانت مخطوبة لابن السيد "رافيل" والسيد "رافيل" صديقي .. أو كان صديقي وهو الذي دفع نفقات هذه الرحلة .. واعتقد أنه كان يريدني أن أقابل الأنسة "قمبل" لعلها تستطيع أن تدلي إلي ببعض المعلومات .
- معلومات عن "فيريتي" ..؟
- نعم .
- إنها حرصت على مقابلي لهذا الغرض . كانت تريد الوقوف مني على بعض الحقائق .
- كانت تريد أن تعرف لماذا فسخت "فيريتي" خطوبتها لابن السيد "رافيل"؟
- إن "فيريتي" لم تفسخ الخطوبة .. وأنا واثق بذلك تمام الثقة .
- هل كانت الأنسة "قمبل" تعرف هذه الحقيقة ..؟
- كلا .. إنها كانت تشعر بالحيرة والتعاسة بسبب ما حدث، وكانت تهدف من زيارتها لي إلى الاستفسار عن الأسباب التي حالت دون إتمام الزواج .
- وما هذه الأسباب ..؟ أرجو ألا تظن أنني أسأل بدافع الفضول .. إنني أقوم بمهمة وأود أن أعرف لماذا لم يتم الزواج بين "مايكل رافيل" و"فيريتي هانت" .
- فحدثني القس إلى وجهها لحظة ثم سال :
- هل لك صلة بهذا الموضوع ..؟
- إنني أنفذ إرادة رجل مات ... هذا الرجل هو والد "مايكل رافيل" ..

فقال القس ببطء :

- لست أرى سبباً يمنعني من مصارحتك بكل ما أعلم .. إنك تسأليني عن أمور كان في نية "إليزابيث قمبل" أن تسألها وهي أمور أنا نفسي أجهلها .
- كان في نية هذين الشابين أن يتزوجا .. وقد أعدا العدة لذلك، واتفقا معي على أن أعقد زواجهما .. وفهمت منهما أن الزواج سيكون سراً ..
- وكنت أعرف الفتاة جيداً .. منذ التحقت بمدرسة الأنسة "قمبل" .. فلما أقيمت الصلاة في كنيسة المدرسة .
- وكانت "فيريتي" من أجمل الفتيات، وأرجحن عقلاً .. وأنبلهن خلقاً، وقد جاءت للإقامة مع الأنسة "كلوتيلد براد بوري" عقب مصرع والديها في حادث طائرة .. فأحببتها "كلوتيلد" حباً لا حد له، وفعلت كل ما في طاقتها لإسعادها .. ووجد هذا صداه في نفس "فيريتي"، فأحبت "كلوتيلد" كما لو كانت أمها .
- ولم تشأ "كلوتيلد" - وهي الذكية المشفقة - أن ترغم الفتاة على دخول الجامعة ... وتركت لها اختيار طريقها، فاخترت الفتاة الفنون والموسيقى . وأقامت في البيت القديم مع الشقيقات الثلاث، وكانت فيما أعلم سعيدة جداً .
- ولم أر "فيريتي" بعد أن أقامت هنا .. مدينة "فيلمنستر" حيث أقيم، تبعد نحو ستة وتسعين كيلو متراً .. ولكنني كنت أكتب إليها وأتلقى ردها بمناسبة الأعياد المختلفة .
- وجاءتني ذات يوم، فإذا هي فتاة ناضجة على جانب كبير من الجمال . وكان معها شاب وسيم .. هو "مايكل" ... ابن السيد "رافيل" .. وقالوا لي إنهما متحابان .. ويريدان الزواج .
- وهل وافقت على عقد زواجهما ..؟
- نعم ... ولعلك تعتقدين أنه ما كان ينبغي لي أن أوافق ... ولكنني أدركت أنهما جاءا إلي سراً . وتبادر إلي ذهني أن الأنسة "كلوتيلد براد بوري" ربما لم توافق على هذا الزواج وحاولت إحباطه ... وإنهاء الصلة بين الشابين، ولها كل الحق

في ذلك؛ فإن "مايكل رافيل" لم يكن الزوج الذي تتمناه أمة أم لابنتها.. كنت أعرف أباه وأعلم أنه كان مصدر متاعب لذويه منذ نعومة أظفاره. وأنه تورط في كثير من الجرائم... ومثل أكثر من مرة أمام محاكم الأحداث وكانت له صلوات بعديد من الفتيات، ودخل السجن مرتين..

صفوة القول إنه كان شاباً منحرفاً سيئ السيرة، ولكنه كان وسيماً.. فاجبته الفتاة وتورطت معه. وكان إلى جانب ذلك ذكياً، كريماً وفيماً لاصدقائه..

وعندما رأيتهما أمامي، لم أتردد في مصارحة "فيريتي" بكل ما أعلمه عن الشاب الذي تريد الاقتران به. ولكنني وجدت أنه لم يحاول أن يخدعها وأنه صارحها بحقيقته، وبمتابعه مع القانون، ومغامراته مع الفتيات.. والمآزق التي تورط فيها، والمشكلات والأحزان التي جلبها لآبيه.. ووعدها بأن يبدأ صفحة جديدة بعد الزواج. وبأن كل شيء سوف يتغير.

فحذرتها بأن ذلك لن يحدث، وبأن شيئاً لن يتغير. وقلت لها إن الناس لن يتغيروا حتى ولو أرادوا.

فاجابت:

- إنني أعلم ذلك أيضاً يا ابتاه. ولكنني أحبه، وسأحاول أن أصلحه... وقد أنجح في ذلك وقد لا أنجح. إنها مخاطرة وساروخ لتبعاتنا.

وأقول لك يا آنسة "ماربل" إنني عقدت زواج كثيرين من الشباب... بعضهم سعد بالزواج، وبعضهم شقي به... ولكنني كنت دائماً أعرف بفراستي... أيهم الصادق في حبه... وأيهم الكاذب المخادع... ولست أعني بالحب، الجاذبية الجنسية. فإن الجنس لا يمكن أن يحتل مكانة الحب. ولا يمكن أن ينجح إلا به.. أما الحب، فإنه العاطفة التي تتضمن كل معاني الزواج... تتضمن الإخلاص المتبادل في الغنى والفقير، وفي الصحة والمرض.

لقد أحسست بأن هذين الشابين متحابان.. وبأنه لا توجد قوة يمكن أن تفرق بينهما إلا الموت.

وإلى هنا تنتهي القصة، وليس بوسعي أن أذكر المزيد؛ لأنني لا أعرف ما حدث

بعد ذلك.

كل ما أعرفه أنني وافقت على أن أزوجهما، وأنني أعددت التدابير اللازمة لذلك، وحددنا اليوم والساعة والزمان والمكان، وإذا كان هناك ما الأم عليه، فهو أنني وافقت على أن يكون الزواج سراً.

- هل أرادوا ألا يعلم به أحد..؟

- نعم... كانت "فيريتي" تريد ألا يعلم به أحد، ومن المؤكد أن "مايكل" كان يريد ذلك أيضاً.. ولعلهما كانا بخشيان أن يوقف الزواج لسبب أو لآخر.

واعتقد أن الزواج- بالنسبة إلى "فيريتي"، كان يعني شيئاً آخر عدا الحب.. كان يعني تحقيق رغبتها في الفرار وهي رغبة طبيعية تولدت من ظروف حياتها. فقد فقدت أبويها واستقبلت حياتها الجديدة وهي بعد تلميذة صغيرة خليقة بأن تفتتن بالشخصيات القوية والمحجوبة أو الجميلة التي تراها في محيط حياتها.. مثل مدرسة الألعاب الرياضية أو مدرسة العلوم... أو أمة فتاة أكبر منها سناً تتخذها مثلها الأعلى. ولكنه افتتان لا يستمر طويلاً... لأنه مجرد مرحلة طبيعية من مراحل الحياة.

ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية حين تدرك الفتاة أن الشيء الذي تريده حقاً هو الشيء الذي يكمل نقصها. هو صلة الرجل بالمرأة. ومن ثم تبدأ بحثها عن الألف، فإذا كانت عاقلة.. فإنها تتمهل حتى يأتي الأليف المناسب.

وقد كانت "كلوتيلد براء بوري" شديدة العطف على "فيريتي".. و"كلوتيلد" لها شخصيتها كامرأة.. فهي جميلة... وجذابة ومثقفة... واعتقد أن "فيريتي" فتننت بها بطريقة رومانتيكية وأن "كلوتيلد" أحبت "فيريتي" كما لو كانت ابنتها من لحمها ودمها.

وهكذا ترعرعت "فيريتي" ونضجت في جو من الحب، وعاشت حياة سعيدة مشيرة، ولكنني أظن أنها لم تلبث أن أحست- دون أن تلاحظ ذلك- برغبة في الفرار... الفرار من الحب الذي يحيط بها ويتركز فيها... الفرار فحسب... دون أن تعرف كيف وإلى أين..

ولكنها عرفت حين قابلت "مايكل" ... عرفت أنها تريد الفرار إلى الحياة التي يجتمع فيها الرجل والمرأة لإنجاب الجيل التالي .. غير أنها أدركت في ذات الوقت استحالة إقناع "كلوتيلد" وحملها على فهم شعورها ... كانت تعلم أنها لن تعترف بهذا الحب ولن تقره وستعارضه بكل ما أوتيت من قوة.

وإنني اعترف الآن بأن "كلوتيلد" كانت على حق. وأن "مايكل" لم يكن الزوج الخليق بـ "فيريتي" ... وأن الطريق الذي سلكته الفتاة لم يقدها إلى حياة هنيئة وسعادة سابعة .. وإنما قادها إلى الألم وخيبة الأمل بل وإلى الموت بأبشع صورته.

إنني أحس بعقدة الذنب يا آنسة "ماريل"؛ لأنني لم أدرك غرض "مايكل" من كتمان أمر الزواج ... أما غرض "فيريتي" فكان مفهوماً ... كانت "كلوتيلد" شخصية قوية وكان يمكن أن تؤثر على "فيريتي" وتقنعها بالعدول عن الزواج.

هل تظن أنها فعلت ذلك ..؟ هل تظن أنها حدثتها عن "مايكل" بما يكفي لحملها على إهمال فكرة الاقتران به ..؟

كلا ... ولو قد فعلت لاتصلت بي "فيريتي" وأنبأتني.

ماذا حدث فعلاً في اليوم المحدد للزواج ..؟

قلت لك إننا حددنا اليوم والساعة والمكان ... وفي الوقت المحدد، انتظرت العروسين ... ولكنهما لم يحضرا ولم يبعثا إليّ بكلمة اعتذار .. وحتى الآن لم أعرف لماذا .. إنني أفهم أن يعدلا عن الزواج .. ولكن ما لا أستطيع فهمه أو تصديقه. هو ألا يبعثا إليّ ولو بكلمة واحدة عن أسباب تخلفهما عن الموعد المتفق عليه ..

لهذا رجوت أن تكون "إليزابيث تمبل" قد قالت لك شيئاً في هذا الصدد قبل موتها ... أو أن تكون قد حملتك رسالة لي.

إنها كانت تريد أن تعرف ما لديك من معلومات. أنا واثقة بأن ذلك كان غرضها من زيارتك.

ربما كنت على حق .. إنني أفهم أن تكتم "فيريتي" أمر زواجها عمن يستطيعون أن يملكوها منعه، مثل "كلوتيلد براد بوري" أو "أنثيا براد بوري" ...

ولكن ليس هناك ما يمنعها من أن تفضي به بطريقة ما، إلى شخصية تحبها ولها تأثير كبير عليها مثل "إليزابيث تمبل" .

أظن أنها فعلت ذلك ..؟

كيف؟

إنها أنبأتها بأنها ستقترب بـ "مايكل رافيل" فقد قالت لي الآنسة "إليزابيث تمبل" : "إنني أعرف فتاة تدعى "فيريتي" .. كانت على وشك الاقتران بـ "مايكل رافيل" .

والشخص الوحيد الذي كان في استطاعته أن ينهي إليها هذا النبا هو "فيريتي" .

إذن لا بد أن تكون "فيريتي" قد كتبت إليها .. أو أنبأتها بطريقة ما .. ولما سألت الآنسة "تمبل" :

ولماذا لم يتم الزواج ..؟

أجابت :

لأنها ماتت ..

فتنهده القس وقال :

إن كل ما أعلمه هو أن "فيريتي" و"مايكل" اتفقا على الزواج وفي الموعد المحدد، لم يظهر العريس ولم تظهر العروس، ولم يبعثا إليّ بكلمة ..

أليست لديك أية فكرة عما يمكن أن يكون قد حدث؟

إنني لا أعتقد أن "فيريتي" و"مايكل" يمكن أن يكونا قد اختلفا وافترقا إلى الأبد.

ولكن لا بد أن شيئاً حدث بينهما ... شيئاً فتح عيني "فيريتي" على حقائق عن أخلاق "مايكل" وشخصيته لم تكن تعرفها من قبل.

هذا جواب غير مفتح .. وحتى لو حدث هذا لكأنت اتصلت بي وأنبأتني ...

ولم تتركني في انتظارهما .. خاصة وأنها معروفة بالأدب والكياسة ... كلا ... كلا ليس هناك سوى شيء واحد يمكن أن يمنعها من القدوم أو الاعتذار.

- الموت؟

- نعم... الموت.

فقالَت الأَنسة "ماربل" وهي مستغرقة في التفكير:

- الحب...

- ماذا تعنين؟

- ذلك ما قالته الأَنسة "تمبل"... سألتها "ماذا قتلها؟" فأجابت: "الحب"... ثم

استطردت قائلة إنه لا توجد في الدنيا كلمة أشد رهبة من كلمة "الحب".

- أظن أنني فهمت..

- هل وجدت حلاً؟

- نعم.. إنه انفصام الشخصية.. إنني لست خبيراً بالمسائل الطبية والتحليل

النفسي... ولكنني أعتقد أن "مايكل رافيل" كان ذا شخصية مزدوجة. فهو تارة

شاب لطيف مهذب يبحث عن السعادة، وتارة أخرى شخصية مريضة مختلة العقل

والشعور، لا تتورع عن قتل أحب الناس إليها لغير ما سبب.

- هل سبق أن بدا منه ما يؤيد إصابته بازواج الشخصية؟

- لا أعلم... كل ما أعلمه أنه كان في مقدمة المشتبه فيهم عقب اختفاء

الفتاة... وقد ظل موضع رغبة رجال الشرطة إلى أن وجدت الفتاة مخنوقة، ورأسها

مهشماً بطريقة وحشية لا يقدم عليها إلا مجنون.

فمرت بجسد الأَنسة "ماربل" رعدة شديدة واستطرد القس قائلاً:

- لطالما تمنيت.. ومازلت أتمنى أن يكون من قتلها شخص آخر غير "مايكل"...

شخص مجنون لا يعرف الناس مدى جنونه... شخص قابلته مصادفة وركبت معه

سيارته... ثم...

- من المحتمل أن يكون هذا ما حدث فعلاً..

- لا أعلم... لقد كان موقف "مايكل" أثناء المحاكمة مزرياً. قال أكاذيب كثيرة

لا معنى لها... واستشهد بأصدقاء له كانوا أكذب منه.. كان مذهولاً.. وخائفاً..

ولم يقل شيئاً عن مشروع زواجه بـ "فيريتي"... ويبدو أن محاميه نصحه بذلك؛

حتى لا يقال إن الفتاة حملت منه وأرادت أن ترغمه على الاقتران بها فتخلص منها

بقتلها... إنني لا أذكر التفاصيل بعد مضي كل هذه السنين.. ولكن الأدلة كانت

كلها ضده.. وكانت جرمته مسيطرة على وجهه..

واستطرد القس:

- إنني بائس وحزين يا أَنسة "ماربل"، لأنني أسأت الحكم والتقدير ولم أفهم

الطبيعة البشرية، فشجعت فتاة رقيقة طيبة على الذهاب إلى حتفها.

كنت أجهل الخطر الذي يترصدها، وأعتقد أنها إذا أحست بخوف منه، أو

اكتشفت ناحية شريرة في خلقه وطباعه، فإنها لن تتردد في إنهاء علاقتها به.

وصارحتني بما اكتشفته..

ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث.. ولذا أتساءل: لماذا قتلها؟ هل قتلها لأنه علم أنها

ستلد...؟ أو لأنه اتصل بفتاة أخرى ولم يشأ أن يرغم على الاقتران بـ "فيريتي"...؟ أو

لأن شيئاً فيه أخافها منه فقطعت صلتها به فنارت نائرتة وقتلها ومثل بجثتها؟

- لا أحد يعلم..

- ولكنك ما زلت تعلم وتؤمن بأمر واحد..

- ما هو...؟

- هو أن هذين العاشقين كانا يتبادلان الحب وكانا يعترضان الزواج فعلاً.. ثم

حدث شيء منعهما من الزواج.. شيء انتهى بموت الفتاة.. ولولاه لحضرا إليك

لعقد زواجهما.

- أصبت يا سيدتي العزيزة... إنني لا أستطيع أبداً أن أفقد إيماني بعاشقين

أرادا الزواج ومواجهة الحياة بحلوها ومرها.. في الغنى والفقر.. وفي الصحة

والمرض..

- لا تتزحزح إذن عن هذا الإيمان.. فإنني أيضاً أشاركك فيه..

- ولكن ماذا بعد ذلك؟

- لا أعلم.. ولكنني أظن أن "إليزابيث تمبل" كانت تعرف أو بدأت تعرف

حقيقة ما حدث.. لقد قالت إن الحب كلمة رهيبة، فظننت أن الفتاة انتحرت، ربما

لأنها اكتشفت فيمن تحب شيئاً أزعجها . ولكن يبدو أن فكرة الانتحار في هذه الحالة مستحيلة .

- إن الإنسان لا ينتحر بهتشم رأسه وتشويه وجهه ..
- كذلك لا يستطيع عاشق أن يفعل ذلك بفتاة أحبها .. حتى لو اضطر إلى قتلها بدافع (الحب) .. إنه قد يقتلها خنقاً .. ولكنه لا بهشم الرأس ولا يشوه الوجه الذي أحبه .

ثم غمغمت قائلة :

- الحب .. يا لها من كلمة مخيفة !!!

الفصل الثامن عشر

وداع

وقفت السيارة بباب الفندق في صباح اليوم التالي؛ استعداداً لمواصلة الرحلة، واقتربت منها الأنسة "ماربل" لتودع زملاءها .. ووجدت السيدة "بورتر" تتصمير غضباً، وتقول بصوت مرتفع:

- ما أعجب الفتيات في هذا الزمن !! لا نشاط .. ولا قوة .. ولا مقدرة على الاحتمال .

فنظرت إليها الأنسة "ماربل" متسائلة واستطردت السيدة "بورتر" قائلة:

- إنني أعني "جوانا" ... ابنة أخي .

- ماذا بها ..؟ هل هي مريضة؟

- إنها تزعم بأنها تشعر بالتهاب في الحلق، وارتفاع في درجة الحرارة .. كلام فارغ طبعاً ..

- هل أستطيع أن أفعل شيئاً من أجلها؟

- من رأيي أن تدعيها وشأنها .. كل هذه أعدار .

فنظرت إليها الأنسة "ماربل" متسائلة مرة أخرى .. فقالت السيدة "بورتر" :

- ما أغبى الفتيات ! .. دائماً يقعن في الحب .

- "أملين برايس"؟

- أرى أنك لاحظت ذلك .. إنه شاب تافه لا يساوي قلامة ظفر .. شعر طويل ..

وسروال ضيق، وقميص ملون ..

وقلبت شفتيها احتقاراً واستطردت قائلة:

- يبدو أنهما انفقاً على التخلف هنا لزيارة بعض المناطق الجبلية على مسافة إثني

عشر كيلومتراً سيقطعانها سيراً على الأقدام ..

- ولكن .. إذا كانت تشعر بالتهاب في الحلق .. وارتفاع في درجة الحرارة ..

فإن ..

- سوف ترين بمجرد رحيل السيارة أن الالتهاب قد زال وأن الحرارة قد

هبطت .. آه .. آه .. أظن أنه قد حان موعد الرحيل .. وداعاً يا آنسة "ماربل" .

ونظرت الأنسة "ماربل" حولها وراة "وانستيد" يلوح بيده مودعاً المسافرين

فقالت له:

- أريد أن أتحدث إليك .. ألا يوجد هنا مكان هادي؟

- توجد الشرفة حيث كنا نجلس منذ يومين ..

وخرجنا إلى شرفة الفندق هناك قال "وانستيد" :

- كنت أود أن أراك ترحلين بالسيارة في أمان . ماذا يبقيك هنا .. التعب أم شيء

آخر؟

- شيء آخر ..

- لكم أود أن أبقى هنا لأعاونك وأسهر عليك !!

- كلا .. لا ضرورة لبقائك .. فهناك مهمة أخرى أريدك أن تقوم بها .

- وما هذه المهمة؟

فأخرجت من حقيبتها قفاصة من الورق قدمتها إليه وهي تقول :

- أريدك أن تذهب إلى هذا العنوان .. إنه عنوان إحدى الجمعيات الخيرية .. سل

هناك عن محتويات طرد أرسل إليهم من مكتب بريد هذه القرية منذ يومين ..

فقال وهو يتناول الورقة:

- وهل لهذا الطرد شيء من الأهمية؟
- قد تكون محتوياته أهمية عظمى.
- أرى أن لديك معلومات تودين الاحتفاظ بسريتها..
- إنها ليست معلومات مؤكدة.. ولكنها مجرد احتمالات لا أستطيع أن أجزم بصحتها.
- هل ثمة شيء آخر؟
- أظن... أظن أنه ينبغي لمن يهمهم الأمر أن يتوقعوا ظهور جثة ثانية..
- تعين جثة ثانية لها صلة بالجريمة التي حدثت منذ نحو عشرة أعوام؟
- نعم... أنا واثقة بذلك.
- جثة ثانية..؟ جثة من..؟ جثة من..؟
- أظن أن لدي فكرة عن ذلك.
- وهل لديك كذلك فكرة عن مكانها..؟
- أنا واثقة بأنني أعرف مكانها... ولكن لم يحن الوقت بعد لكي أذكره لك.
- لمن الجثة؟ لرجل أم امرأة أم طفل؟
- إنها لفتاة اختفت من هنا منذ وقت طويل.. فتاة تدعى "نورا بروود" .. وأظن أنني عرفت المكان الذي دفنت فيه..
- فحذق "وانستيد" إلى وجهها طويلاً ثم قال:
- كلما مضيت في حديثك... قويت رغبتني في البقاء إلى جانبك لحراستك.
- كلا... لا ضرورة لذلك..
- يخيل إليّ من كلامك أنك تعرفين أشياء كثيرة.
- أظن أنني الآن أعرف أشياء كثيرة..
- وفي هذه اللحظة فتح باب الشرفة ودخلت الآنسة "كوك" والآنسة "بارو" ..
- فهتف "وانستيد":
- مرحباً.. ظننت أنكما رحلتما بالسيارة.

فقالت الآنسة "كوك" في مرح:

- لقد عدلنا عن رأينا في آخر لحظة. فقد وجدنا في هذه المنطقة بعض معالم تستحق الزيارة. منها كنيسة قديمة من عهد "السكسون" تقع على بعد ستة كيلومترات ونصف تقريباً ويمكن الوصول إليها بالأونوبيس المحلي.. إنني شديدة الاهتمام بهندسة الكنائس.

فقالت الآنسة "بارو":

- وأنا كذلك.. ولذلك فكرنا في أن نقضي هنا يومين أو ثلاثة قبل أن نعود.
- هل ستقيمان في هذا الفندق؟
- نعم... من حسن الحظ أننا وجدنا به غرفة فسيحة جميلة أفضل من تلك التي أقمتا بها خلال اليومين السابقين.
- وهنا نظرت الآنسة "ماريل" إلى الأستاذ "وانستيد" وقالت:
- أظن أنك يجب أن تذهب الآن وإلا فاتك القطار.
- حسن.. إنما أرجو..
- كن مطمئناً.. فإنني أعرف كيف أعني بنفسني.

الفصل التاسع عشر

الآنسة "ماريل" لها رأي

ما إن همت الآنسة "ماريل" بارتشاف قهوتها في شرفة الفندق بعد الغداء حتى رأت شخصاً طويلاً القامة نحيفاً يقترب منها ويحدثها وهو لاهث الانفاس.

كان ذلك الشخص هو "أنثيا براد بوري" .. قالت:

- كنا نظن أنك رحلت بالسيارة، وعلمنا الآن فقط أنك تخلفت عن الرحلة.

وقد أرسلتني "كلوتيلد" و"لافينيا" لكي أرجوك أن تعودني للإقامة معنا إلى أن يحين موعد رحيلك.. سنكون سعداء حقاً إذا أنت استجبت لرجائنا.

فقالت الآنسة "ماريل":

- هذا كرم منك.. الواقع أنني كنت أنوي الرحيل مع السيارة... ولكنني أحسست بعد ذلك الحادث المؤلم بأنني لن أستطيع مواصلة الرحلة.. وآثرت أن أستريح هنا ولو ليلة واحدة.

- سيكون أفضل لك أن تقيمي معنا.. وسنحاول أن نوفر لك كل أسباب الراحة..
- إنني لا أشك في ذلك... ولست أنكر أنني نعمت معكن بالهدوء والراحة..
إن كل ما عندكن جميل.. البيت والأثاث.. والآنية..

- إذن يجب أن تعودتي معي الآن.. سأساعدك في إعداد حقيبتك..
ولم يسع الأنسة "ماربل" إزاء إصرار الفتاة إلا أن توافق.. وبعد نحو نصف ساعة.. كانت تجلس مع الشقيقات الثلاث في قاعة الاستقبال..

قالت لنفسها:

- هانذا قد عدت مرة أخرى.
وأغمضت عينيها لحظة، وحاولت أن تسبر غور مشاعرها وانطباعاتها عندما دخلت البيت القديم للمرة الثانية..

- هل شعرت بأن في جو ذلك البيت القديم ما يثير الريبة؟
- كلا.. لقد كان الجو ينم عن الشقاء والتعاسة أكثر مما يبعث على الارتياح..
وفتحت عينيها ونظرت إلى "لافينيا" وكانت قد دخلت في التو واللحظة حاملة أقداح الشاي..

- إنها كالعهد بها امرأة عادية بسيطة خالية من العقد.
- ترى هل روضت نفسها بعد حياة كلها شقاء ومتاعب على إخفاء حقيقة مشاعرها عن عيون الناس؟

ثم نظرت إلى "كلوتيلد" .. إنها تذكرها بامرأة إغريقية تدعى "كليمنسترا" تقول الأساطير إنها قتلت زوجها في الحمام.. ولكن من المحقق أن "كلوتيلد" لم تقتل زوجها؛ لأنها لم يكن لها زوج قط. كذلك لا يمكن أن تكون قد قتلت الفتاة التي قبل إنها كانت تحبها حباً جماً.. إنها واثقة بذلك؛ لأنها رأت الدموع تتفرق في عينيها حين دار الحديث حول مصرع "فيريتي".

- وماذا عن "أنثيا"؟..

- إن "أنثيا" هي التي أرسلت الطرد بالبريد.
و"أنثيا" هي التي جاءت لتدعوها للإقامة في البيت.
- الواقع أنها لا تستطيع أن تفهم هذه الفتاة.. إن عينيها تدوران حولها بسرعة وكأنها تخشى شيئاً.. ولكن ماذا تخشى؟.. هل هي مريضة عقلياً وتخشى أن يعيدوها إلى المصححة التي قضت فيها بعض سني حياتها؟.. هل تخشى أن نظن أختها أنه ليس من الحكمة أن تظل طليقة؟ هل تشفق أختها مما قد تقوله أو تفعله؟ كان في الجو شيء... ولكن ما هو...؟



وخرجت "لافينيا" بأقداح الشاي وانطلقت "أنثيا" إلى الحديقة.. وبقيت "كلوتيلد" وحدها مع الأنسة "ماربل".. قالت هذه الأخيرة:

- هل تعرفين قساً يدعى "بربازون"؟

- نعم... إنه كان في الكنيسة أمس... هل تعرفينه أنت؟..
- كلا.. ولكنه زارني في الفندق وتحدث إلي. قال إنه ذهب إلى المستشفى بعد وفاة الأنسة "تمبل". وسأل عما إذا كانت قد تركت له رسالة.. ويبدو أن الأنسة "تمبل" كانت تنوي زيارته. وقد أجبته بأنها كانت في غيبوبة طوال فترة زيارتي لها. وأنها لم تحملني أية رسالة له..

فقالت "كلوتيلد":

- ألم تقل شيئاً؟.. ألم تقل أي شيء يوضح الحادث الذي أودى بحياتها؟..
- كلا..

- هل تعتقدين أنه وقع قضاء وقدر.. أو أن ما قالته "جوانا كروفورد" و"أملين برايس" من أنهما رأيا شخصاً يدحرج الحجر له نصيب من الصحة؟
- ما دامنا قالا ذلك فلا بد أنهما رأياه..

ودخلت أنثيا في هذه اللحظة وهي تحمل باقة من الزهور البيضاء.. قالت وهي

تضحك ضحكة عصبية غريبة :

- لقد أحضرت باقة من الزهور الجنائزية ..

فعبست "كلوتيلد" وصاحت :

- "أنثيا" ... لا ينبغي أن تقولي كلاماً كهذا.

فضحكت "أنثيا" في مرح وقالت :

- سأذهب لأضعها في إناء.

وخرجت فقالت "كلوتيلد" :

- إن حالتها تزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

- هل يقلقك أمرها ..؟

- إنها أصغرنا ... وكانت دائماً معتلة الصحة شاذة في تصرفاتها .. ولكن من

المؤكد أنها ازدادت سوءاً في الفترة الأخيرة . لأنها لا تقدر المسؤولية . وتضحك

ضحكات هستيرية بلهاء حين لا يكون هناك ما يستوجب الضحك .. نحن لا

نريد أن نرسلها إلى .. أي مكان آخر .. إنها بحاجة إلى العلاج ولكنها ترفض مغادرة

البيت .. إنه بيتها على كل حال ..

وصمتت لحظة ثم استطردت قائلة :

- إن "لافينيا" تريد العودة إلى كوخها بالقرب من "لندن" . واعتقد أنها تخشى

"أنثيا" رغم أنني طالما قلت لها إنه ليس هناك ما تخشاه منها .. إنها تقول أشياء

غريبة وتبدي أفكاراً شاذة في بعض الأحيان .. ولكنها ليست خطيرة ..

لقد فكرت في بيع هذا البيت، والانتقال إلى مكان آخر، لعل تغيير البيئة والجو

يفيدانها.

- لا شك في أن من بواعث الملك وحزنك . أن تجدي نفسك هنا وسط كل

ذكريات الماضي !!

- اتدركين ذلك ..؟ إنني أعود بأفكاري دائماً إلى تلك الابنة العزيزة المحبوبة ..

كانت جميلة وذكية وفاتنة وممتازة وكنت أحبها وأفخر بها .. ثم جاء ذلك المعتوه

المرضى العقل ..

- تعنين "مايكل رافيل" ؟

- نعم .. وليته ما جاء .. كان يقيم في هذه المنطقة واقترح عليه أبوه أن يزورنا

فجاء وتناول الطعام معنا .. وكان ظريفاً رغم انحرافه وماضيه الحافل بالجرائم .. ولم

انتصروا أبداً أن "فيسريتي" يمكن أن تقع في حباله .. ظننت في البداية أن الأمر

مجرد افتتاح .. كما يحدث مع الفتيات عادة في مثل هذه السن .. ولكنها تدلهمت

في حبه، وصارت لا تفكر إلا فيه .. وترفض سماع أية كلمة ضده .. وتصصر على أن

كل ما حدث له، كان خارجاً عن إرادته ولا ذنب له فيه .. وأن جميع الناس

يتاصبونه العداً ظلماً . إلى آخر هذه العبارات الجوفاء المألوفة ..

ولما لم تجد معها النصائح، حاولت أن أبعده عن البيت، وطلبت إليه أن يكف عن

زيارتنا .. وكان ذلك خطأ بطبيعة الحال، أدركته فيما بعد؛ لأنها راحت تقابله

خارج البيت في أماكن مختلفة، كان ينتظرها بسيارته في أماكن متفق عليها

بينهما .. وبمعيدها آخر الليل، وحدث مرة أو مرتين أنه لم يعدها إلا في اليوم

التالي .. وحاولت أن أقنعهما بأن كل ذلك يجب أن ينتهي .. ولكنهما أبيا

الإصغاء إليّ.

- هل كان في نيتها الاقتران به ..؟

- لا أظن أن الأمر وصل إلى هذا الحد .. ولا اعتقد أبداً أنه أراد الزواج أو فكر

فيه.

- مسكينة أنت .. لا بد أنك تألمت كثيراً.

- نعم ... وكانت أشد آلمي عندما دعيت لتعرف جثتها بعد أن اختفت مدة

طويلة، وانقطعت أخبارها .. لقد تبادر إلى أذهاننا حين اختفت أنها فرت معه

وتوقعنا أن يصلنا نبأ عنها في وقت قريب .. ولكن رجال البوليس كانوا ينظرون إلى

الموضوع نظرة أخرى، فاستدعوا "مايكل" وطلبوا إليه أن يتعاون معهم في البحث

عنها.

وأخيراً وجدوا جثتها في مكان مهجور يبعد عن هنا نحو ثمانية وأربعين

كيلومتراً .. وذهبت إلى المشرحة لرؤيتها .. كان منظرها مخيفاً . يدل على منتهى

القسوة والوحشية. لماذا فعل بها ذلك؟ ألم يكفه أنه قتلها خنقاً؟ أواه.. لم أعد أطيق الحديث في هذا الموضوع.

وانهمرت الدموع من عينيها.. فقالت الأنسة "ماربل":
- إنني جد آسفة.

فقالت "كلوتيلد":

- إنني لا أكف عن التفكير في "فيريتي"، وفي الطريقة البشعة التي قتلت بها.. ولكنني أشعر ببعض العزاء أحياناً عندما أفكر أن الفتيات قد أمن شر ذلك المنكود.. لقد حكم عليه بالسجن المؤبد.. وهو سجين الآن ولن يسمح له بالخروج حياً؛ حتى لا يرتكب جرائم أخرى.. على أنني أتساءل، لماذا لم يرسلوه إلى إحدى المؤسسات التي يضعون فيها المجرمين غير المسؤولين. أعني المجرمين ذوي العقول المريضة..؟ أنا واثقة بأنه لم يكن مسؤولاً عما فعل.

قالت ذلك ونهضت، وغادرت الغرفة في لحظة دخول "لافينيا". قالت هذه وهي تجلس:

- لا تعبني بكل ما تقوله "كلوتيلد".. إنها لم تبرا تماماً بعد من الصدمة التي أصابتها من مصرع "فيريتي".. كانت تحب "فيريتي" بجنون..

- ويبدو أيضاً أنها قلقه على أختك الأخرى.

- "أنثيا"؟.. إن "أنثيا" بخير.. صحيح أنها عصبية وسريعة الانفعال، وتخييل أموراً بعيدة عن الحقيقة. ولكن ليس ثمة ما يدعو "كلوتيلد" للقلق عليها..

- يا إلهي!.. من الذي يطل من النافذة؟..

ف نظرت الأنسة "ماربل"، ورأت في إطار النافذة وجهين مالوفين.. وجهي الأنسة "بارو" والأنسة "كوك"..

قالت الأولى:
- معذرة، فقد كنا نمر من هنا وخطر لنا أن نسال عن الأنسة "ماربل".. قيل لنا في الفندق إنها جاءت للإقامة هنا.. آه.. أهذه أنت يا آنسة "ماربل" العزيزة.. لقد أردت أن أقول لك إننا لن نذهب إلى تلك الكنيسة اليوم؛ لأنها مغلقة بسبب

أعمال الترميم والنظافة ولكننا سنذهب غداً.. وقد خطر لي أنك ربما تودين مرافقتنا إليها غداً. أرجو أن تغفري لنا وقوفنا أمام النافذة. الواقع أنني دقت الجرس فلم يرد.

فقالت "لافينيا":

- إنه متقلب المزاج يردق تارة ويتمرد تارة أخرى.. لماذا لا تفضلان بالدخول؟
- شكراً.. إننا ستعود الآن إلى الفندق لتناول طعام العشاء. إلا تاتين معنا يا

آنسة "ماربل"؟

- كلا.. فقد نفضل آل "براد بوري" بدعوتي للإقامة هنا ليلة أخرى.
- ما أسعد حظك.. أنا واثقة بذلك، ستجدين هنا الراحة التي تنشدينها..

والواقع.. أن الجليلة في الفندق لا تطاق..
فقالت "لافينيا":

- لماذا لا تعودان بعد العشاء لتتناولا معنا قداً من القهوة؟
- شكراً لك.. سوف يسعدنا حقاً أن نكرم بكرم ضيافتك.

الفصل العشرون

الساعة تدق الثالثة

- 1 -

عادت الأنسة "كوك" والأنسة "بارو" إلى البيت القديم في منتصف الساعة التاسعة تماماً.. وقبل قدومهما، كانت الأنسة "ماربل" تتناول العشاء مع الشقيقات الثلاث، فقالت "أنثيا":

- اليس غريباً أن تتخلف هاتان السيدتان عن الرحلة؟
فاجابت الأنسة "ماربل":

- وأية غرابة في ذلك؟ لا شك في أن لديهما خطة مرسومة وضعتها بدقة

متناهية.

- ماذا تعنين؟..

- أعني أنهما وضعتا في حسابهما كافة الاحتمالات وأعدنا العدة لها..

- يخيل إلي أن فيهما شيئاً من الغموض.. الا تظنين ذلك يا "كلوتيلد"؟..
فاجابت "كلوتيلد":

- لعلك على حق.. فإن في سلوكهما كثيراً من الزيف.

فقالَت الأُنسَة "ماربل":

- الواقع أنني لم الاحظ ذلك.. ولكن دعونا منهما.. لقد قضيت هنا اليوم وقتاً رائعاً.. وغداً صباحاً سآزور الحديقة وأنفقد زهور الشجيرات التي نبتت فوق انقاض بيت الزهور.. لقد رأيتها منذ يومين وكانت قد بدأت تنفتح واعتقد أنني سأجدها غداً باقة يانعة تذكرنى دائماً بزيارتي لهذا البيت.

فقالَت "أنثيا":

- إنني أمقتها وأريد إزالتها لكي أقيم مكانها بيتاً جديداً للزهور.. وهذا ما سنفعله حتماً متى توفر لدينا المال الكافي، أليس كذلك يا "كلوتيلد"؟..
فقالَت "كلوتيلد":- أظن أننا بحثنا هذا الموضوع مراراً.. ثم ما حاجتنا الآن إلى بيت للزهور؟..
فقالَت "لافينيا":

- لا ضرورة لهذه المناقشات العقيمة.. هلموا بنا إلى قاعة الاستقبال فقد حان موعد قدوم ضيفتينا.



وجاءت الضيفتان، فقدمت "كلوتيلد" لكل منهما قهواً من القهوة.. ثم انطلقت إلى المطبخ وعادت بقدرح ثالث وضعته أمام الأُنسَة "ماربل" فقالَت الأُنسَة "كوك":

- معذرة يا أنسَة "ماربل".. لو أنني في مثل سنك ما شربت القهوة في مثل هذه الساعة.. إنها سوف تصيبك بالآرق.

- أتظنين ذلك؟.. إنني تعودت احتساء القهوة في المساء.

- نعم، ولكن هذه القهوة قوية ومركزة.. ونصيححتي لك ألا تشربها..

فنظرت إليها الأُنسَة "ماربل"، ورات على وجهها دلائل القلق ولاحظت أنها غمزت قليلاً بعينها، فقالَت:

- أظنك على صواب.. هل توفرت على دراسة أصول التغذية؟..

- تلك إحدى هواياتي.. وقد تدرست كذلك على التمريض.. فإن كلا منهما يرتبط بالآخر..

- هذا صحيح..

ونحيت الأُنسَة "ماربل" القدرح جانباً وقالَت:

- هل لديكم صورة لتلك الفتاة؟.. أعني "فيريتي هانت"؟.. لقد أظنبت القس في وصفها، ويبدو أنه كان يحبها.
فقالَت "كلوتيلد":

- إنه كان يحب جميع الشباب..

وسارت إلى مكتب صغير في ركن الغرفة، وفتحت أحد الأدراج، وتناولت منه صورة قدمتها إلى الأُنسَة "ماربل" وهي تقول:

- إليك صورتها.

فهتفت الأُنسَة "ماربل" وهي تتأمل الصورة:

- يا له من وجه فاتن!.. إنه وجه غير عادي.. مسكينة تلك الفتاة..

فقالَت "أنثيا":

- من المزعج أن ما حدث لها.. ما زال يحدث لكثير من الفتيات.. إنهن يصادفن كل من هب ودب من الشباب دون أن يهتم أحد بتبصيرهن وتوجيههن الوجهة السليمة..

فقالَت "كلوتيلد":

- إن على الفتيات في هذه الأيام أن يحرصن على أنفسهن.. ولكنهن لا يعرفن كيف.. كان الله في عونهن.

ومدت يدها لتسترد الصورة من الآنسة "ماريل"، ومسّ كمها قدح القهوة فسقط على الأرض..

وهتفت الآنسة "ماريل" في انزعاج:

- يا إلهي.. هل أنا السبب..؟ هل دفعت ذراعك دون أن أشعر؟

فقال "كلوتيلد":

- كلا... إنه كم ثوبي... هل أحضر لك قدحاً من الحليب "اللين" الدافئ ما دامت القهوة لا تلامك..؟

- أكون شاكرة لو فعلت.. إن الحليب "اللين" الدافئ يلطف من توتر الأعصاب قبل النوم..

وبعد حديث قصير استأذنت الآنسة "كوك" والآنسة "بارو" للانصراف، وأحدثتا عند رحيلهما جلبة وهرجاً لا مبرر لهما؛ إذ نسيت إحداهما حقيبة يدها فعادت مهولة لتأخذها.. ونسيت الأخرى مندليها وفعلت المثل.. وما إن انصرفتا حتى تنفست "أنثيا" الصعداء وقالت:

- ضجيج... ضجيج... ضجيج لا نهاية له.

فقال "لافينيا":

- إنني أؤيد "كلوتيلد"... في أن بهما شيئاً من الزيف.

وقالت الآنسة "ماريل":

- ذلك رأيي أيضاً... لقد فكرت في أمرهما طويلاً وتساءلت لماذا اشتركتا في هذه الرحلة؟ وهل استمتعنا بها؟ وما سبب قدومهما؟

فسألتها "كلوتيلد":

- وهل عرفت الإجابة عن كل هذه الأسئلة؟

وأحضرت "كلوتيلد" من المطبخ قدحاً من الحليب "اللين" الدافئ ورافقت الآنسة "ماريل" إلى غرفتها وهناك سألتها:

- هل تحتاجين إلى شيء آخر..؟ أي شيء؟

- كلا.. إنني شاكرة لك ولاختيك ما فعلتن من أجلي.

- ما كان ينبغي أن نفعل أقل مما فعلنا.. خاصة بعد أن تسلمنا رسالة السيد "رافيل"..

- لقد كان رجلاً كريماً ذا عقل مرتب.

- واعتقد أنه كان كذلك من كبار رجال المال.. هل أرسل لك طعام الإفطار في الصباح..؟ ربما تفضلين عدم مغادرة غرفتك..

- كلا... كلا... لن أكلفك كل هذا العناء.. سأتناول الإفطار في قاعة الطعام.

- إذن طابت ليلتك.. أتمنى لك نوماً هنيئاً.

- 2 -

دقت الساعة في بهو البيت القديم الثانية.

كان بالبيت أكثر من ساعة، وكلها لا تدق معاً.. وبعضها لا يدق أبداً. وبعد ساعة، دقت ساعة الطابق الأول الثالثة، ورات الآنسة "ماريل" ضوءاً ينبعث من الفراغ تحت باب غرفتها.. فاعتدلت جالسة في فراشها. ووضعت إصبعها على زر المصباح الكهربائي.

واختفى الضوء، وفتح الباب بهدوء، وسمعت الآنسة "ماريل" وقع خطى بطيئة لا تكاد تسمع، فضغطت زر المصباح.. وتالق النور في الغرفة.

هتفت:

- آه.. أهذه أنت يا آنسة "كلوتيلد"..؟

- نعم... ظننت أنك ربما كنت بحاجة إلى شيء.

فرمقتها الآنسة "ماريل" بعينها.

كانت ترتدي غلالة حمراء طويلة، زادت قوامها الفارع طولاً.. وقد انسدل شعرها الأسود الجميل على كتفيها العريضتين.. فلم تتمالك الآنسة "ماريل" من الإعجاب بها.. وإن كان مظهرها قد ذكرها على الفور ببطلة إحدى المسرحيات الإغريقية.. بتلك المرأة التي قتلت زوجها في الحمام.

قالت "كلوتيلد":

- هل أنت واثقة بأنك لست بحاجة إلى شيء..؟
 - نعم... شكراً لك.
 ثم استطردت قائلة بملهجة الاعتذار:
 - يؤسفني أنني لم أشرب الحليب "اللين".
 - لماذا بحق السماء؟
 - ظننت أنه لا يلائمني..
 فوقف "كلوتيلد" بجانب الفراش وحملت إليها.. فأكملت الأنسة "ماربل"
 عبارتها بقولها:
 - من الناحية الصحية..
 فقالت "كلوتيلد" بخشونة:
 - ماذا تعنين..؟
 - أظن أنك تعرفين ما أعني.. بل لعلك تعرفينه منذ المساء.. وربما قبل ذلك
 أيضاً.
 - لست أفهم شيئاً مما تقولين!
 - حقاً..؟
 قالت ذلك بصوت يجمع بين السخرية والاستفسار ولكن "كلوتيلد" تجاهلت
 السؤال وقالت:
 - أظن أن الحليب "اللين" أصبح بارداً.. سأتيك بكوب آخر.. ومدت يدها
 وتناولت كوب الحليب "اللين".
 فقالت الأنسة "ماربل":
 - لا تزعجي نفسك، لأنك لو أحضرت كوباً آخر فلن أشربه.
 - الواقع أنني لا أفهم ما تعنين.. إنك غريبة الأطوار حقاً.. فاية امرأة أنت..؟
 ولماذا تتكلمين هكذا..؟ من أنت..؟
 - إنني أمثل العدالة الإلهية التي تبطئ أحياناً ولكنها تأتي في النهاية.
 - مازلت لا أفهم عن أي شيء تتحدثين..!

- عن فتاة جميلة قتلتها.
 - فتاة قتلتها..؟
 - فتاة تدعى "فيريتي".
 - ولماذا أقتلها؟
 - لأنك كنت تحببها.
 - طبعاً كنت أحبها بل كنت أعشقها.. وكانت بدورها تحبني.
 - لقد قال لي بعضهم - منذ وقت ليس ببعيد - إن الحب كلمة مخيفة.
 - إنك أحببت "فيريتي" حباً جماً.. وكانت كل شيء في الدنيا بالنسبة إليك..
 وكانت هي بدورها تحبك وتخلص لك إلى أن طرق قلبها حب آخر مختلف
 تماماً..
 فقد أحببت شاباً لعله لم يكن خير نموذج للشباب، ولكنها أحبته، وأحبها،
 وأرادت الخلاص من قيود الحب الذي تعيشه معك؛ لكي تحيا حياتها مع الرجل
 الذي وقع عليه اختيارها ليكون أباً لأولادها.
 فجلست "كلوتيلد" على مقعد بجوار الفراش وقالت بهدوء:
 - يخيل إلي أنك فهمت كل شيء.
 - نعم... لقد فهمت كل شيء.
 - إن ما ذكرته صحيح... ولن أنكره... ولا يهم الإنكار أو عدمه.
 - صدقت.. فلا أهمية للإنكار.
 - هل يمكنك أن تدركي كم تعذبت..؟
 - نعم... أستطيع أن أدرك ذلك.
 - هل تدركين مدى شقاء الشخص الذي يعلم أنه سيفقد أحب شيء في الدنيا
 إلى قلبه..؟ ويفقده من أجل شاب منحرف لا أخلاق له؟ شاب تعس غير جدير
 بالخلوة الجميلة الرائعة التي أحببتها أكثر من نفسي..؟
 كان لا بد لي أن أمنع هذه الجريمة.
 - وهكذا آثرت أن تقتلي الفتاة بدلاً من أن تسمح لها بالذهاب إلى حيث

تريد .. قتلتها لانك احببتها ..

- اتظنين انه كان في استطاعتي ان افعل شيئاً كهذا .. ؟ اتظنين انه كان في مقدوري ان اخنق الفتاة التي احببتها؟ اتظنين انه كان في مقدوري ان اهدم رأسها واشوه وجهها .. ؟

ذلك لا يفعله إلا رجل فاجر شرير لا يعرف معنى الرحمة ..

- نعم ... إنني أعلم أنك كنت تحبين الفتاة ولا يمكن أن تفعل ذلك.

- أرايت أنك تناقضين نفسك .. ؟

- أنت لم تفعل ذلك بالفتاة التي كنت تحبينها. لان "فيريتي" ما زالت هنا .. إنها في الحديقة واكبر الظن أنك لم تخنقها ... وإنما قدمت إليها قدح قهوة أو كوب حليب "لين" به كمية كبيرة من مادة منومة، ولما ماتت حملتها إلى الحديقة ودفنتها تحت أنقاض بيت الزهور وغرست فوقها من الاعشاب المتسلقة ما حجبها تماماً.

إن "فيريتي" بقيت معك هنا؛ لانك أبيت أن تتخلي عنها.

- أيتها الحمقاء .. أيتها العجوز الحمقاء .. هل تظنين أنك ستغادرين هذا المكان وأنت على قيد الحياة لكي تروي هذه القصة.

- إنني لست واثقة بذلك، خاصة أنك امرأة قوية. وأقوى مني كثيراً ..

- يسرني أنك تدركين ذلك.

- وأنت فضلاً عن ذلك بلا قلب أو ضمير .. إنني لاحظت من تجاربي أن القاتل قلما يقتع بجريمة واحدة .. وأنت قد قتلت فتاتين .. الفتاة التي احببتها. وفتاة أخرى عداها ..

- هل تعنين "نورا بروود" .. ؟ إنها كانت بغياً بلهاء .. كيف علمت بامرأها .. ؟

- إنني فهمت مما رأيت وسمعت، أنك لا يمكن أن تقدمي على خنق الفتاة التي احببتها وتشويه وجهها بتلك الطريقة البشعة. ثم علمت أن فتاة أخرى قد اختفت في ذات الوقت ولم يعثر على جثتها .. وهداني تفكيرتي إلى أن

الجثة التي وجدت، لابد أنها كانت جثة "نورا بروود" في ثياب "فيريتي هانت" ... وأنت عندما دعيت لتعرفها .. أكدت أنها جثة "فيريتي هانت" .. - ولماذا فعلت أمراً كهذا .. ؟

- لانك أردت للشاب الذي احب "فيريتي" واحبته .. أردت له ان يحاكم بتهمة قتلها .. ولذلك وارت جثة "فيريتي" حيث يتعذر العثور عليها، وواريت جثة الفتاة الأخرى في ذلك المكان المقفر، بعد أن شوهدت وجهها، والبستها ثياب "فيريتي"، ووضعت معها حقيبة "فيريتي" ورسالة أو رسالتين باسمها، وسلسلة ذهبية كانت تتحلى بها.

ومنذ أسبوع، ارتكبت جريمة ثالثة .. هي جريمة قتل "إليزابيث قبل" ... قتلتها؛ لأنها جاءت إلى هذه المنطقة. ولأنك خشيت أن تكون قد تلقت من "فيريتي" معلومات إذا ضمت إلى ما يعلمه القس "بربازون" أمكن أن تظهر الحقيقة.

ولما كنت امرأة قوية، فقد أمكنتك انتزاع ذلك الحجر من مكانه وإلقائه عليها .. ولابد أن يكون ذلك قد كلفك كثيراً من الجهد. ولكنك امرأة قوية. فقالت "كلوتيلد":

- نعم ... ومن القوة بحيث أستطيع الإجهاز عليك.

- لا أظن أنه سيسمح لك بذلك.

- ماذا تعنين أيتها العجوز الشمطاء الحقيرة .. ؟

- صحيح أنني عجزت شمطاء لا حول لي ولا قوة ولكني أعتبر نفسي ممثلة للعدالة.

فضحكت "كلوتيلد" ساخرة وقالت:

- ومن الذي يمنعني من الإجهاز عليك يا ممثلة العدالة .. ؟

- ملاكي الحارس ..

فضحكت "كلوتيلد" مرة أخرى وقالت:

- وهل لك ملاك حارس .. ؟

وأخذت تدنو منها. فقالت الآنسة "ماربل":
- بل ملاكان حارسان.. إن السيد "رافيل" يفعل كل شيء دائماً على نطاق واسع.
ومدت يدها تحت وسادتها وأخرجت صفاة رفعتها إلى شفتيها.. ودوى الصغير
في سكون الليل.. فحدث أمران في وقت واحد، إذ فتح الباب وظهرت الآنسة
"بارو" على عتبه..
وفي نفس اللحظة، فتح دولاب الملابس وأخرجت منه الآنسة "كوك"..
وتقدمت المرأتان وعلى وجهيهما دلائل الجد.. وفي عيونهما نظرة تختلف تماماً
عن تلك النظرات البريعة التي رأتها في عيونهما قبل بضع ساعات..
وهتفت الآنسة "ماربل" قائلة:
- ملاكان حارسان.. لقد رفع السيد "رافيل" من قدرتي.. وجعل لي من الأهمية
أكثر مما أستحق.

الفصل الحادي والعشرون

الآنسة "ماربل" تروي قصتها

قال "وانستيد" للعجوز ذات الشعر الأبيض التي تجلس أمامه:
- متى اكتشفت أن المرأتين كانتا من الشرطة، وأنهما ما اشتركتا في الرحلة إلا
لحمايتك..
- كانتا تجلسان في أحد المكاتب الحكومية بـ"لندن" ومعهما أربعة أشخاص
آخرون هم: أحد كبار الموظفين بمكتب المدعي العام والسيد "لويد" مساعد مدير
"اسكتلنديارد"، والسيد "أندريا ماكنيل" مدير سجن "مانستون"، أما الرابع
فكان وزير الداخلية.
وأجابت الآنسة "ماربل":
- لم أكتشف ذلك إلا في الليلة الأخيرة، عندما حذرتني الآنسة "كوك" بوضوح
من تناول قذح القهوة، ثم عندما شددت إحداهما على يدي وهي تهتم بالانصراف

ودست فيها الصفاة التي استخدمتها فيما بعد.
- ألم تتناولي كوب الحليب اللين؟..
- كلا طبعاً.. من تظنني؟..
- بما يثير دهشتي... أنك لم تغلقي باب غرفتك.
- لو أنني فعلت لكان ذلك خطأ جسيماً.. لقد أردت أن تدخل "كلوتيلد"
غرفتي؛ لأرى ماذا ستفعل أو تقول.. كنت واثقة بانها ستأتي بعد انقضاء الوقت
الكافي لتستوثق من أنني شربت الحليب اللين وفقدت الوعي.
- هل ساعدت الآنسة "كوك" على الاختباء في الدولاب؟..
- كلا. إنني دهشت حينما رأيتها تخرج منه.. ويبدو أنها توارت فيه عندما
خرجت من غرفتي لأذهب إلى الحمام.
- وهل كنت تعلمين أنهما في داخل البيت؟..
- توقعت بعد الصفاة أن تكونا في مكان قريب، وأظن أنه لعلهما فتحنا إحدى
النوافذ من الداخل خلصة عندما زارتا البيت في المساء. وأحدتتا جلبة وهرجاً بلا
مبرر..
- إنك عرضت نفسك لخطر جسيم يا آنسة "ماربل".
- لا يستطيع الإنسان أن يمضي في الحياة قدماً دون أن يتعرض لآخطار.
- وبهذه المناسبة... إن فكرتك عن الطرد الذي أرسل بالبريد إلى الجمعية الخيرية
كانت صحيحة.. فقد وجد بداخله ذلك القميص ذو المربعات الحمراء والسوداء.
ولكن كيف طرات لك هذه الفكرة؟..
- كان واضحاً من وصف "جوانا" و"أملين" للقميص أن الغرض من اختيار ألوانه
الصارخة هو لفت الأنظار.. وكان من المهم والضروري أن يختفي هذا القميص تماماً
بحيث لا يعثر له أحد على أثر.. وهل هناك طريقة للتخلص منه أفضل من إرساله
إلى إحدى الهيئات الخيرية في مكان بعيد؟..
لقد بدت هذه الفكرة في ذهني حين رأيت "أنشيسا" تحمل الطرد إلى مكتب
البريد.

- ومتى بدأت ربيتك في "كلوتيلد"؟
- حين قالت "إليزابيث تمبل" إن الفتاة ماتت بسبب الحب، وقال الأب "بربازون" إن "مايكل" كان مخلصاً في حبه... وإن العاشقين لم يحضرا إليه في الوقت المحدد؛ لأن شيئاً أقوى من إرادتهما حال دون ذلك. وإن الموت قد يكون هو الحائل.. وحين رأيت أنقاض بيت الزهور في ركن الحديقة، تغطيها تلك النباتات الطفيلية التي تقتل كل ما حولها ولا تترك على سجيتها إلا لإخفاء منظر يؤدي العيون.. ولاحظت ذعر "أنشيا" ورغبتها في الفرار من ذلك المكان.. ثم حين سمعت ما سمعت عن مدى حب "كلوتيلد" لربيبتها.. تبادر إلى ذهني على الفور أن ذلك الحب الأناني هو الحب الذي يمكن أن يقتل.. الحب الذي وصفته "إليزابيث تمبل" بأنه يمكن أن يكون شيئاً مخيفاً.

- هل تعلمين ماذا حدث في تلك الليلة بعد انصرافك من البيت القديم؟
- تعني ما حدث لـ "كلوتيلد"؟ أعلم أنها اختطفت كوب الحليب "اللبين" المسموم ونجرتته.

- هل كنت تتوقعين ذلك؟

- كلا... ولو كنت توقعت ما استطعت أن أفعل شيئاً.. فقد اختطفت الكوب بسرعة مذهلة.. ونجرتته قبل أن يتمكن أحد من منعها.. واعتقد أنها بذلك قد فعلت الأمر الطبيعي وأنها كانت تتوق إلى الفرار من جثة "فيريتي" التي ظلت تطل عليها من الحديقة وتعذبها كل يوم طوال عشرة أعوام.

تَمَّتْ بَعُونَ اللّٰه